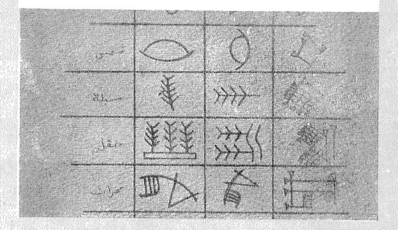
عبد الحكيم الذنون



بدايات الحضارة







بدايات الحضارة

عبد الحكيم الذنون

بدايات الحضارة



* بدايات الحضارة
* عبد الحكيم الذنون
* الطبعة الأولى ١٩٩٣ / ١٠٠٠ نسخة

دار علاء الدين
* دمشق - ص . ب : ٣٠٥٩٨ - هاتف : ٤٢٧٣٥٣ ٤٢٧١٥٨
تلكس : ٤١٢٥٤٥ - فاكس ٤١٧١٥٩

تصدير

ألف باء التمدن الانساني يبدأ في بلاد العرب.. هذه الأرجاء الممتدة من جبال زاجروس والخليج العربي حتى المحيط الأطلسي ومن جنوبي الأناضول حتى بحر العرب.. بلاد مترامية الأطراف شهدت بزوغ أول فجر حضاري منذ عصور ما قبل التاريخ، لتستحيل إلى مواقع وصروح أزلية أمدت الحضارة الانسانية بأسباب المدنية ومؤشرات التواصل الحضاري.

ومن خلال مسيرة أمة العرب عبر الزمن نجدها بأنها عاشت تناغما أحاديا لجملة حضارات إنبثقت منها لتشكل فيما بعد أعتى الامبراطوريات في تاريخها القديم والوسيط وقد تجلى ذلك بانبثاق الممالك السومرية والاكادية والمصرية والآشورية والكنعانية والأيبلائية والأوغاريتية والعمورية والآرامية حتى قيام دولة العرب المسلمين.

لقد كان الأمر مسألة تواصل النور الحضاري الذي لا انقطاع فيه حيث انبثق من بلاد الشرق العربي القديم وتركز في عدة مواقع ليغدو استمرار للقوة، إستمرارا للفكر، استمرارا للاقتصاد، ومهما يكن من أمر فإن التغييرات التي حملتها العصور كانت طفيفة إلى حد أنها تبين لنا كم كان التاريخ في حكمته وكياسته وصبره البطئ متناقضا مع سرعة الأفراد وجملة التحديات..

إن الزمن هو الصورة المتحركة للأزلية الثابتة، والوجود القومي العربي يمتد في أعماق الزمن المجسد على خريطة الوطن العربي ليبرز الاشعاع والتواصل الحضاري والانساني في أرجاء المعمورة.. إن ممالك الشرق القديم لم تكن ليقتصر وجودها الحضاري على أرض محددة بل امتدت لتحقق قيمة التواصل الثقافي على أرض الاغريق وصقلية قبل أن تبلغ مضيق جبل طارق، ولأن فلسطين وبحر إيجه كانا

مفتاحين استراتيجين، كانت البحار المحيطة بالوطن العربي: المتوسط والأطلسي والأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، أساسيات في تجسيد ذلك.

لقد تشكلت الحضارة عبرالحقب في مثلث يشمل البوسفور والنيل ودجلة والفرات وأن شعوبها هي الشعوب المصرية والكنعانية والسورية والاشورية والبابلية التي تنتمي إلى أمة عربية واحدة، وقد برزت حركة واسعة النطاق على مختلف الأصعدة وتدلنا على ذلك المكتشفات الاثارية، وكتب التاريخ القديم للعراق ومصر وفينيقيا واليونان، حيث أننا نجد صورا شتى مملوءة بالهجرات والحروب، وتحرك مستمر كما هو معروف للقوافل، للمعادن الثمينة، للسفن، للأفكار والمعتقدات، للالهة.. حيث أن هذه الأشياء تنتقل في حركات الناس الذين يدركون ما يجري في الوركاء وإيبلا ونينوى وأوغاريت وغزة والكرنك وقرطاجة يجمعهم القدر المحتم كما حدث أو كما يحدث في عواصم الزمن الواحد الكبرى.

إن السبب المشار إليه أعلاه هو الذي يجعلنا لا نستطيع أن نكّون دراسة تاريخية في صورة ثابتة كاملة لهذا القطر أو ذاك، لأن الصورة الكاملة والثابتة إنما تكون في مضمون الحياة وفي كافة الأنماط السلوكية وطرق التحرك التي يشهدها القطر أو ما تحمله إليه ذلك لأن القيمة الأساسية بكل جوانبها ومؤشرات تواصلها تكمن في الأمة الواحدة بعيدا عن حالات التجزئةوالتبعثر، وهكذا يتأكد لدينا تماما أن الوجود القومي هو وجود أزلي منذ العصور القديمة وقبل اكتشاف الكتابة وبدء التدوين، وهذا الوجود إتجه بمسارات تم الافصاح من خلالها على ماهية الانتاج الحضاري الذي تجلى بعدة صورة وآفاق ومؤشرات كتحصيل حاصل لنضج الحضارة العربية وقدرتها على التفاعل مع بقية الحضارات العالمية.

عبد الحكيم الذنون

فجر الحضارة

تبدأ العصور الأولى التي وجد فيها الانسان الأول في الوطن العربي، حيث عاش الانسان الأول في وادي الرافدين ووادي النيل وفلسطين وسورية منذ حقب زمنية موغلة في القدم.

ومرحلة آثار ما قبل التاريخ في العراق القديم تبدأ منذ العصور القديمة الأولى التي وجد فيها الانسان العراقي الاقدم وفي العراء وحتى نهاية العصر الحجري الحديث (نيوليت) في الالف الخامس قبل الميلاد، حيث أن مرحلة العصور الحجرية في وادي الرافدين تمتد منذ مليون سنة قبل الميلاد وحتى الألف الخامسة ق.م حيث الدور الحجري النحاسي.

وبما أن الانسان القديم بدأ يستقر فيما بعد في مستوطنات صغيرة تحولت إلى قرى في الدور الحجري الحديث، وتطور بعضها إلى مدن محصنة في العصر الحجري النحاسي والعصور اللاحقة، اعتبرنا ثورة العصر الحجري التي قلبت أسس حياة المجتمعات البشرية، وأرست دعائم القاعدة المادية التي تطورت، عنها الحضارة البشرية فيما بعد.

وإزاء ذلك يمكننا تسليط الضوء على فترات التاريخ القديم في وادي الرافدين والتي تقسم إلى قسمين هما: (عصور ما قبل التاريخ) و(العصور التاريخية)، ويكون الفاصل بينهما (عصر فجر التاريخ) حيث تم اكتشاف الكتابة في منتصف الألف الرابعة ق.م، وبذلك اصبحت الكتابة وسيلة لتدوين الاحداث التاريخية، وقد تم ذلك في الدور الذي يأتي بعد الدور الحجري وقبل الدور البرونزي الذي ظهرت فيه الكتابة لأول مرة في تاريخ البشرية في العراق القديم.

ويعتبر وادي الرافدين من أقدم مواقع العصور الحجرية وعصور ما قبل التاريخ في

العالم فقد عاش الانسان القديم منذ دهور قديمة، ووجدت آثاره في الكهوف والمغاور في الجبال الشمالية والشمالية الشرقيةو في العراء على الهضبات الجبلية في الشرق، وعلى المرتفعات الصحراوية وفي الغرب.

وقد اتخذ الانسان أكثر أدواته الضرورية من الحجارة، فقام العلماء الآثار بتسمية ذلك الزمن بالعصر الحجري وهو حقبة طويلة جدا ثم بتقسيمها إلى أدوار مختلفة بالنسبة إلى نوع تشظية قطع الحجر وتهذيبها.

وعرفت هذه الأدوار بأسماء المواقع التي اكتشفت فيها أول مرة نماذج من تلك التقنيات وأغلبها في فرنسا وجبال الألب وشمال أفريقيا والشرقين الأقصى والأدنى.



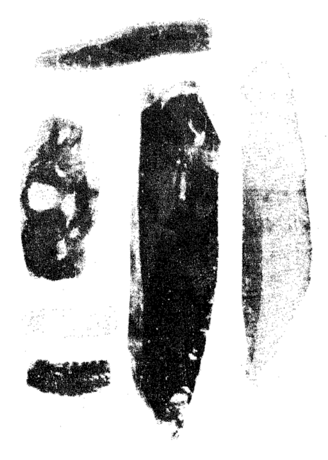
كدرات من عصور ما قبل التاريخ ـ العصر الحجري القديم (باليوتيك) تعود إلى(١٥٠٠٠٠ ـ ١٠٠٠٠٠ سنة ق.م)

وكان الانسان القديم يعتمد على قواه الذاتية في جمع قوته من الغابات والأحراش والحقول ومن الصيد بأنواعه، واستعمل أدواته من لب الصوان بعد تشظية كدراته إلى فؤوس ومطارق للهجوم والدفاع، ثم اتخذ الشظايا فيما بعد أيضا سكاكين ومقاشط وقام بصقل أدواته الحجرية، ثم اتخذ العظام والأخشاب.

وفي العصر الحجري الحديث قبل حوالي ١٠٠٠٠٠ سنة يتعلم الانسان القديم الزراعة فتكون من أهم أسباب تقدمه وتواصله، ثم سكن البيوت وكانت في بادئ

أمرها من الطين والحصران ومنها تأسست القرى الأولى، ثم دجن الحيوان والماشية وصار بذلك ينتج قوته بيده واصبح ذا حياة اجتماعية وعقيدة دينية.

وفي العصر الحجري الحديث تتنوع الأدوات الحجرية تنوعا هائلا وبتقنية أكثر تقدما، فقام الانسان القديم بصنع الفأس الحجرية المنحوتة وربطها بمقضب من الخشب، وصنع المعاذق للحراثة، والمقدمات والمجارش لطحن الحبوب، والمقاشط،



مقاشط وشظايا من عصور ما قبل التاريخ ـ العصر الحجري الحديث (نيوليت)

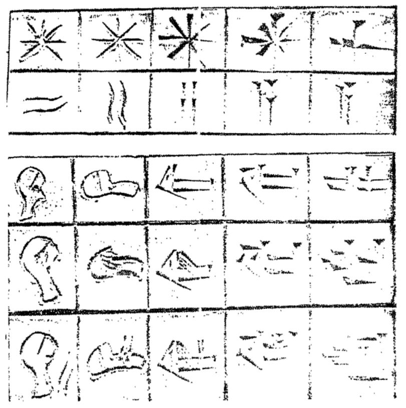
وقام باستعمال السكاكين من الزجاج الأسود، واستعمل أدوات من العظام فصنع الابر والمثاقب والملاعق والحلي وصنع من الرخام الدلايات والاساور ومن الطين دمى مختلفة تمثل الحيوانات التي دجنها، أو الالهة الأم ـ إلهة الخصب والتكاثر ـ التي عبدها، واستعمل السهام والقسي بكثرة، وقد وجدت كميات كبيرة من الفخار في هذه الفترة.

وفي مطلع الألف الخامس ق.م اهتدى الانسان إلى اكتشاف المعادن فقام باستخراجها من باطن الأرض وصنع منها أدوات مختلفة استعملت إلى جانب

الأدوات الحجرية، وقد عرف هذا الدور باسم: (الدور الحجري ـ المعدني)، ولكن التنقيبات الاثارية الحديثة التي أجريت في تل الصوان في العراق وتل جتل هيوك في غربي تركيا أثبتت بأن النحاس كان معروفا بصورة بدائية منذ بداية الألف السادس ق.م.

ومن أبرز أدوار هذا العصر: "دور حلف" و"دور أريدو" و"دور العبيد" و"دور الوركاء" و"دور جمدة نصر" وفي هذا العصر تطورت الزراعة تطورا نوعيا وتم تشييد المعابد والابنية الفخمة، وتقدمت صناعة الفخار وتطورت تقنيته باختراع دولاب الفخار، حيث صنعت الاواني بكفاءة عالية وصبغ أكثرها بألوان قشبية وبأشكال هندسية ونباتية وحيوانية.

وفي دور العبيد استعملت المعادن وكان النحاس يطرق باردا في بادئ الأمر إلا أنه سخن فيما بعد واستعملت طريقة الصب . السباكة . أيضا وصنعت صنارات لصيد الاسماك ودبابيس وسكاكين وأسلحة.



البدايات الأولى للكتابة السومرية في العراق

ويقدر زمن دور الوركاء بالفترة ٣٥٠٠ـ٣١٠٠ ق.م واشتهر القسم القديم من دور الوركاء بكثرة فخاره، وامتاز القسم الحديث من دور الوركاء بنضج الحضارة

وتقدم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية، ومن مقومات هذه الحضارة بوادر الكتابة في حدود ٣٢٠٠ ق.م وقد كانت بأشكال تصويرية استعملت لتسجيل الواردات في المعابد وتدوين الاحداث التاريخية والامور العامة، وانتشر فن النحت فنقشت ألواح من الحجر وتماثيل عديدة وصنعت الاختام الاسطوانية، وكان فن العمارة راقيا فقد زينت واجهات المعابد بنقوش مصبوغة ورصعت بالقسيفساء المتكون من مسامير ملونة من الفخار أو الاجر.

ولقد عد بعض العلماء حضارة النصف الثاني من عصر الوركاء في سومر وبداية عصر جمدة نصر وهو الدور الذي يلي دور الوركاء حقبة حضارية لامعة أطلقوا عليها تسمية البرتولتريت أي مرحلة بدء الكتابة والاداب، وقد زودتنا هذه المرحلة بآثار فنية راقية ونقوش عديدة تدل على تقدم الحضارة في مختلف مجالاتها في حدود ٣٢٠٠ . ٣٠٠٠ ق.م

ويلي دور الوركاء دور حضاري سومري آخر وهو دور جمدة نصر الذي يعتبر آخر أدوار عصور ما قبل التاريخ في العراق القديم، ومن أهم المميزات الحضارية لهذا الدور، تقدم فن الكتابة وتطورها من صور إلى رموز رسمت بخطوط مستقيمة، وصار للعلامات قيم صوتية ساعدت على التدوين بعض الشيء.

المعنى		السومرية
سماء/إله	Himmel / Gott	an / dingir
أرض	Erde	ki
إنسان	Mensch	lu
عانة/امرأة	Scham / Frau	sal / munus
جبل/جبال	Berg / Gebirge	kur
أمة	Sklavin	geme
رأس	Kopf	sag
فم/يتكلم	Mund / sprechen	ka / dug
إناء/طعام	Schale / Speise	ninda
يأكل	essen	ku
ماء	Wasser	a
يشرب	trinken	nag
يذهب/يقف	gehen / stehen	du / gub
طائر	Vogel	mušen
سمك	Fisch	ha
ثور	Ochse	gud
بقرة	Kuh	ab
حبوب	Gerste	še

YA'Ù.DUB.SAR^RA AMA GÚ.DÉ-KE$_4$.E.NE A.A UM.ME.A-KE$_4$.EŠ

تطور الكتابة في العراق القديم من طور الكتابة الصورية PICTOGRAPHY (٣٣٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق.م) الى طور الكتابة المسمارية CUNEIFORM (٢٨٠٠ ق.م ـ ٧٥ م)

كما تقدمت الصناعات وازداد استعمال الأختام بنوعيها المسطحة والاسطوانية،

ونقشت أواني الحجر باشكال حيوانية وطعمت بالصدف، كما أن صناعة المعادن أخذت في التقدم فصنع منها كافه أنواع الأسلحة والأدوات المنزلية، وتطور فن العمارة حيث توسعت المباني والمعابد توسعا ملحوظا وزينت واجهاتها بالفسيفساء.

وبذلك فإن سومر تعتبر من المواقع المهمة التي شهدت أقدم حضارة معروفة في العالم القديم وكانت مهد ارساء دعائم بدايات الحضارة البشرية نظرا لما أنتجته من قيم حضارية وإبداعيه كاب بمثابة الاساس الذي ارتكزت عليه مقومات التمدن البشري فيما بعد.

لقد وجدت حضارة زراعية في جنوبي وادي الرافدين منذ ٥٥٠٠ ق.م وتطورت خلال آلاف السنين. وتم اكتشاف الكتابة وبذلك تم تدوين الاداب والملاحم والاحداث التاريخية والشؤون العامة، وقد تطورت القرى إلى مدن، وبعد انتهاء دور جمدة نصر تبدا مرحلة العصور التاريخية فيقوم السومريين بإرساء دعائم الكيان السياسي الأول من خلال صيغة (الدولة المدينة) أي دويلات المدن في الالف الرابع ق.م وهو الزمن الذي برزت فيه الحضارة واللغة السومريتين، وخلال ألف سنة تبعت تل العبيد واكتشاف الكتابة ودور جمدة نصر ليبدأ عصر فجر السلالات السومرية، ثم تأتي فيما الافوام العربية القديمة من شبه جزيرة العرب وبادية الشام لتشكل إضفاءات حضارية للمنطقة وتبلورها منذ فجر التاريخ.

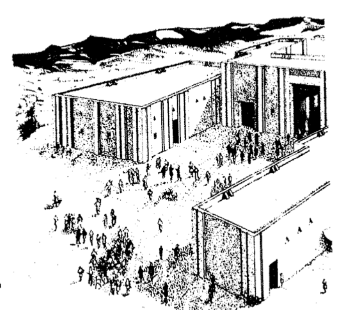
ويستدل من الدراسات اللغوية أن ثلاث مجموعات اثنوغرافية سكنت العراق القديم وهم: السومريون في أقصى الجنوب من نيبور وحتى الخليج العربي، والأقوام العربية القديمة (الاكاديون . العموريون . الاشوريون . البابليون) في الشمال والوسط والجنوب، وفئة ثالثة ربما من نوع شعب "إيبلا وفي تاريخ غير واضح اندمجت الفئات الثلاث في حضارهواحدة ولكن لغتهم المشتركة المكونة قبل ٢٤٠٠ ق.م كانت اللغة السومرية وسمي اصحاب هذه اللغة المشتركة بالسومريين.





ولما كتبت اللغات الثلاث فيما بعد بالمسمارية أدرك بأنهم ثلاثه فئات اثنوغرافية لكن الفارق كان لغويا فقط وليس سياسيا أو ثقافيا، بل امتازوا بنفس الابداع الحضاري ونفس المعتقدات الدينية.

فخار من حضارة تل حسونة حوالي ٥٥ سنة قبل الميلاد



معابد قديمة من عصر العبيد في تبة كورة
لطبقة الثالثة عشرة - لموصل - العراق.



اختام اسطوانية مع طبعاتها من عصر حمدة نصر - العراق

مؤشرات حضارية

أن تاريخ وطننا العربي الكبير هو أول فصل من تاريخ الانسانية، فقد ارسيت في منطقة الشرق الدعائم الحضارية التي مهدت لمسيرة لاحقة لتاريخ العالم، حيث استؤنفت في تلك الحقبة اكتشافات آثارية هائلة تعتبر تطورا نوعيا ومهما في ميدان الحضارة المادية.

لقد نشأت المدن والمراكز الحضرية والمجتمعات الطبقية الأولى واكتشفت الكتابة في بلاد الرافدين في منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد وظهرت الاداب والعلوم والمعارف وقد كان لحضارات الشرق القديم عامة وحضارات الوطن العربي القديم على وجه الخصوص بالغ الاثر على الحضارة اليونانية والرومانية، كما تعتبر حضارة الوطن العربي القديم تمهيدا لمسار انبثق من جذور واحدة لتتبلور فيما بعد الحضارة العربية الاسلامية التي أثرت بدورها على الحضارة العالمية في العصور الوسيطة والحديثة.

إن دراسة تاريخ الشرق القديم موغلة في القدم وتصل إلى ألفي عام ونيف حيث كان الاغريق يتطلعون باهتمام إلى جيرانهم الشرقيين. وقد تضمنت أعمال مؤرخي اليونان والرومان معلومات ناضجة وقيمة حول تاريخ وحضارة وديانات المصريين القدماء والاشوريين والبابليين والفرس والهنود، ولكن الدراسة العلمية الحديثة للآثار الحضارية العربية القديمة لم تبدأ في أوربا بالطبع إلا في عصر النهضة والتنوير، وعلى مدى القرن التاسع عشر الميلادي كان علماء أوربا يعكفون على فك رموز الكتابات الشرقية القديمة الواحدة تلو الأخرى، الهيروغليفية والبابلية والحثية، وقد جرت في العراق ومصر فعاليات واسعة النطاق باتجاه التنقيب الاثري وقد أسفر ذلك عن اكتشافات أثرية هائلة تؤكد عراقة بلاد العرب وعمق أصالتهم وتاريخهم الموغل في

القدم وجذورهم الواحدة.

وفي القرن العشرين برزت إلى حيز الوجود دراسات ناجحة ومتطورة حول حضارة المشرق وبالذات حضارة الوطن العربي القديم حيث تطورت تقنيات الحفريات الاثارية وتعزز مستوى الدراسة العملية النظرية وتطورت وازدادت الابحاث المكتبية والمؤرشفة، كما تم افتتاح مراكز تعنى بداسة حضارات تاريخ العرب القديم: (سومر . أكاد : نينوى . ماري . أوغاريت . مصر القديمة . إيبلا)، واتسعت نطاقات الاماكن والمواقع الاثرية التي يجري التنقيب على مساحاتها.

لقد تبدلت الكثير من المفاهيم بفعل الاكتشافات الاثارية الحديثة حول مفهوم وجغرافية منطقة الشرق القديم، بل وتطورت مع مرور الزمن الحدود والفواصل الزمنية لمفهوم الشرق القديم، ولا يوجد حتى الآن اتفاق علمي حول الحد الادنى لتاريخ الشرق القديم، وبمثابة خط فاصل تجري الاشارة على احتلال الاسكندر المقدوني لأقطار الشرق الأوسط في أواخر القرن الرابع ق.م وإلى بداية التبشير بالمسيحية وانتشارها في القرن الأول الميلادي، وأخيرا الفتوحات الاسلامية في القرنين السابع والثامن الميلادي، أما الحد الأدنى لهذا التاريخ فقد كان يعتبر سابقا بحدود الألف الخامسة ق.م، أما الآن فإن الباحثين يخفضونه إلى الألف الثامن ق.م وحتى الالف العاشر ق.م.

وكما هو متعارف عليه على اعتبار أن التاريخ بالمعنى الدقيق للكلمة يبدأ باختراع الكتابة وظهور النصوص الكتابية الصورية الأولى في تخوم الألفين الرابع والثالث ق.م، وأن المراحل التي سبقت هذا الزمن يطلق عليها مصطلح (عصور ما قبل التاريخ) أي مراحل ما قبل تدوين الاحداث والوقائع التاريخية.

وكان عالم الآثار غوردون تشايلد قد أدخل في الاربعينات والخمسينات مصطلح "ثورة العصر الحجري الحديث" إشارة إلى التحول النوعي الذي طرأ على حياة المجتمعات البشرية خلال الالاف ١٠ ـ٧ ق.م، فبعد أن قام بتعميم نتائج العديد من الابحاث الاثرية المتعلقة بآثار العصر الحجري الوسيط ـ ميزوليت ـ والعصر الحجري الحديث ـ نيوليت في الشرق الأوسط وصل إلى استنتاج مفاده أن في هذا الوقت بالذات كانت تتم إعادة بناء جذرية لمجمل حياة المجتمع الاقتصادية ويجري التحول من الاقتصاد الاستهلاكي إلى الاقتصاد المنتج.

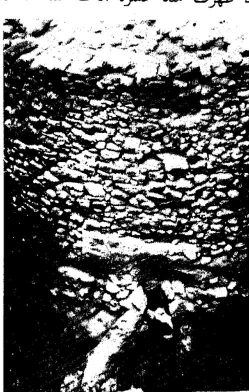
وعبر مراحل تطور حياة الانسان على الأرض تقريبا اقتصر الناس على ممارسة الصيد والتقاط وجمع الثمار، ثم صناعة بعض الادوات المستخدمة كالفؤوس والسكاكين والمقاشط والمطارق من خلال الحجارة الصوانية وتشظية الكدرات أولا،

وفي العصر الحجري، المعدني تم صنع الادوات من المعادن.

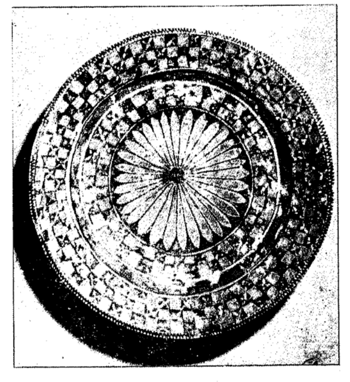
إن المنطقة العربية شهدت سلسلة طويلة من الحضارات الاثرية الرائعة خالية الكتابة والتي سبقت عصر الاثار الكتابية الأولى في سومر وارتبطت ارتباطا وثيقا مع الحضارات "التاريخية" اللاحقة بحيث يصعب ويستحيل فصلها عن بعض.

في مرحلة الألف الرابع ق.م وقبل ذلك في الألفين الخامس والسادس ق.م بالذات ارسيت دعائم حضارات الشرق القديم، وفي الوقت الراهن تتوسع وتزداد معلوماتنا بشكل متصاعد عن حياة المجتمعات القديمة في المنطقة بفضل تطور وسائل وتقنيات وطرق الدراسات الاثرية واللغوية للتاريخ القديم، علاوة على كون الكتابة نفسها جاءت بعد مرحلة تمهيدية تاريخية طويلة تمتد بداياتها إلى الألفين الثامن والسابع ق.م، وقد اعتبر بعض العلماء السوفييت في أبحاثهم الأخيرة أن عرض أحداث تاريخ العرب القديم يبدأ منذ عهد ثوزة العصر الحجري الحديث . نيوليت . في الالاف ١٠ ـ ٨ ق.م.

أما الجماعات الزراعية والرعوية فقد ظهرت منذ عشرة آلاف سنة فقط، وحدثت تغييرات واسعة النطاق فقام المجتمع المدني وظهرت دويلات المدن ومن ثم الممالك والدول الكبرى وحدثت تفاعلات حضارية كبرى على أنقاض النظام الاقتصادي القديم القائم على الصيد والجمع والالتقاط حيث تحول الناس إلى زراع ومربي مواشي وبنائين.


أقدم برج في العالم ـ برج حجري مستدير يقدر ارتفاعه بأكثر من تسعة أمتار ـ أريحا فلسطين ٨٠٠٠ سنة ق.م

إن انتقال الانسان من حالة الصيد والعيش في الكهوف والمغاور إلى الاستقرار المدني والريفي فتح آفاقا نوعية للتطور الاجتماعي مما حدا بالحضارات القديمة أن تترعرع وتتكامل، ويأتي دور بعثات الاكتشاف والتنقيب الاثري لتقدم دراسة مستفيضة من خلال تسليط الضوء على الفترات التي قطعها الانسان والمراحل الحضارية التي أنجزها في رحلته في معترك الحياة.



آنية من الحضارة الحلفية (الالف الخامسة ق.م) تل الاربجية - الموصل

أوعية من الحضارة الحلفية الالف الخامسة ق.م تل الاربجية - الموصل

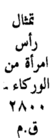




أدوات بازلتية من الحضارة الغسولية (النصف الثاني من الالف الرابع ق.م) أبو مطر - فلسطين.



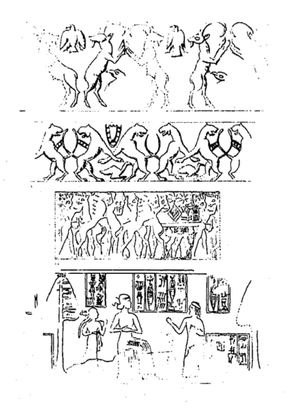
رأس من الذهب الخالص في
مقدمة آلة وترية موسيقية
(قيثارة أور) سومر.



تمثال
رأس
امرأة من
الوركاء -
٢٨٠٠
ق.م



مشهد صيد الأسود في الوركاء حوالي ٢٨٠٠ سنة ق.م جنوب العراق.



رسوم عن الأصل لطبعات أختام اسطوانية لحضارة الوركاء (أوروك) الطبقات ٦- ٤ وعصر أمدكور، سوكورو، والعصر الأكادي - العراق.

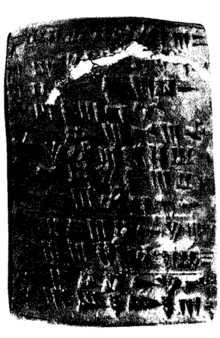
فقد قام علماء الآثار بتنفيذ جملة من المشاريع المتعلقة بحضارة العراق القديم في حوض نهر ديالى وفي المدن القديمة كالوركاء ونيبور ونينوى واريدو وتل الصوان وتل حسونة ووادي سنجار وتل حرمل وأبو صلابيخ وتربيصو وبابل ونوزي ولكش وغيرها، حيث تم اكتشاف عدد كبير من الاوابد الضخمة التي تؤكد أصالة البلاد ونضج حضارتها.

وجرت تنقيبات آثارية في اليمن واتسمت بطابع شمولي، وعثر علماء الآثار على عدد من الخلويات تعود إلى العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث مع عدد هائل من النقوش واللوحات الكتابية والتماثيل والأدوات.

وفي سوريا تواصلت أعمال التنقيب الاثاري في أوغاريت (تل رأس الشمرة) احدى دويلات المدن الفينيقية، كما جرت أيضا في ماري (تل الحريري) المطلة على نهر الفرات، كما يستمر العمل في نشر النصوص المسمارية الوفيرة التي تم العثور عليها في هاتين المدينتين، ومنذ عام ١٩٦٣م يقوم البروفسور باولو ماتيه بتحرياته عند موقع إيبلا (تل مرديخ) حيث اسفر التنقيب عن أرشيف ملكي ضخم جدا موجوداته مدونة بالخط المسماري تعود إلى الألف الثالث ق.م.

كما عملت في البحرين بعثات تنقيب عن آثار مدينة ديلمون التي كانت تشغل مكانا خاصا في التصورات الميثولوجية والتاريخية لسكان بلاد الرافدين القدماء، حيث أثبت بأن البحرين ذات علاقة دينية وثيقة مع السومريين ومحطة قوافل تجارية مهمة ما بين الجزيرة العربية وما بين سومر وبابل، اضافة إلى تفاعل حضاري منفتح مع مالوه (حضارة حوض السند)، وماغان (ساحل جزيرة العرب).

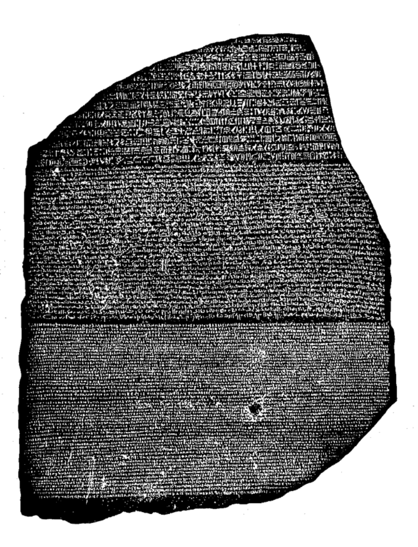
وقد بدأت عمليات التنقيب الاثاري في وادي النيل قبل غزوة نابليون لمصر، وأثناء الغزو الفرنسي تم اكتشاف (حجر الرشيد) من قبل العلامة شامبليون فتم



كتابات مسمارية من أوغاريت ـ تل رأس الشمرة.

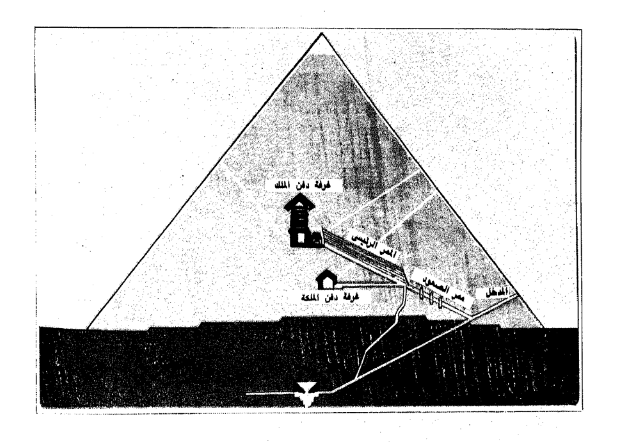


ختم اسطواني مع طبعته من أوغاريت ـ تل راس الشمرة.



حجر الرشيد ـ وتبدو في محاوره الثلاث الكتابات الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية.

الافصاح عن الكتابة الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية، ونشطت عمليات التنقيب الآثاري في مصر وفي عدة مواقع في مصر العليا ومصر السفلى، ولاسيما في الجيزة وسقارة والاسكندرية والكرنك والاقصر، وبقية المواقع الاثرية الاخرى التي تبين عمق الانتماء الحضاري والانساني.



الهرم من الداخل

سومر .. الحضارة

أطلق اسم "سومر" قديما على جنوب العراق، وعلى وجه التحديد أطلق على منطقة السهل الرسوبي المتكون بفعل ترسبات نهري دجلة والفرات، وقد نشكل هذا السهل الخصب من تراكم الطين المترسب من مياه نهري دجلة والفرات عبر حقب جيمورفولوجية تقدر بالآف السنين.

إن اسم سومر يعتبر من أقدم الأسماء التي أطلقت على جنوب وادي الرافدين، واسم "شومرد" كلمة أكادية تكتب المصطلح المسماري "كي ان جي" أي . البلاد السيدة . وقد سمته التوراة "سهل شنعار"، وأطلقت عليه أقوام الجزيرة العربية "مات سوميريم" وتمتد اراضي السهل الرسوبي في بلاد الرافدين حاليا من جنوب بغداد وحتى الخليج العربي..

تعتبر سومر مهد الحضارة العراقية القديمة من حيث كونها أقدم المواقع المهمة التي شهدت أعرق حضارة معروفة في تاريخ البشرية وهي مهد ارساء دعائم الحضارة العالمية نظرا لما أنتجته من قيم حضارية وإبداعية كانت بمثابة أساس ارتكزت عليه مقومات التقدم البشري.

إن السومريين لم يكونوا أول الوافدين إلى وادي الرافدين ولكن النظريات متعددة حول استنتاج بعض الامور المتعلقة بنزوح السومريين فيرى البعض أنهم قدموا في طور العبيد، ومنهم من يعدهم في طور جمدة نصر، ويؤكد الدكتور مورتكارت أنهم قدموا في زمن سوية الوركاء الرابعة وبطبيعة الحال أننا ندرك بأن السومريين ليسوا من أقوام الجزيرة العربية ووجدوا في سومر قبل الألف الرابع قبل الميلاد، واخترعوا الكتابة نحو ٣٥٠٠ ق.م فكانت اللغة السومرية أقدم لغة مكتوبة، وقد وجدت حضارة زراعية في منطقة السهل الرسوبي ولا سيما في الأرجاء الجنوبية منذ

٥٥٠٠ سنة ق.م، وتطورت خلال الاف السنين، ولا يمكن اعطاء هوية معينة لأصحابها قبل عهد الكتابة، ولكن تطور القرى إلى مدن وانشاء ـ الدولة المدينة ـ أي دويلات المدن السومرية يعود إلى الألف الرابع ق.م وهو الزمن الذي برزت فيه الحضارة واللغة السومريتين، وخلال ألف سنة تبعت تل العبيد واكتشاف الكتابة مجيءالاكاديين والعموريين والاشوريين من شبه الجزيرة العربية وبادية الشام لتشكل السمة الحضارية الاضافية وتبلورها منذ فجر التاريخ.

يقسم فجر التاريخ السومري إلى ثلاث عصور فرعية وهي عصر الوركاء (أوروك) (الطبقة الرابعة)، وعصر جمدة نصر وهو عصر أوروك (الطبقة الثالثة)، وعصر مسيليم ملك كيش ـ تل الأحيمر ـ وعلى الرغم من صغر بلاد سومر البالغة ٢٥ ألف كم[٢] فقد قامت في بداية الألف الثالث ق.م دويلات سومرية متفرقة في مدن عديدة في جنوبي العراق يحكم في كل منها سلالة مستقلة عن جارتها، وقد تطورت الكتابة في ذلك الحين وأصبحت ملائمة لتدوين الوقائع التاريخية، فقد أخذ ملوك السلالات يصفون حروبهم وانجازاتهم ويسطرون ذلك على ألواح الطين والحجر، وبذلك انتقل الناس إلى عهد جديد سمي بالعصور التاريخية لأن الكتابة باكتشافها وتطورها أصبحت وسيلة لتدوين التاريخ.



خوذة ذهبية عثر عليها في مقبرة أور الملكية ٢٥٠٠ سنة ق.م

وسميت بداية هذه الفترة من الحكم في العراق بعصر دويلات المدن السومرية أو عصر فجر السلالات Early dynastic period، ويمتد هذا العصر بين نهاية عصر جمدة نصر (٢٩٠٠ ق.م) وبداية عهد الامبراطورية الاكادية السرجونية (٢٣٥٠ ق.م) وهو من أغنى أدوار العراق من الوجهة الثقافية والحضارية، وقد وجدت معالم هذه الحضارة في أشهر المدن القديمة مثل سبار (تل أبو حبة) شوراباك (فاره)، كيش (تل الأحيمر)، أوروك (الوركاء)، أور (المقير)، نيبور (نفر)، لجش (تللو)، أشنونة (تل

أسمر)، خفاجي (تل أحرب)، ماري (تل الحريري).

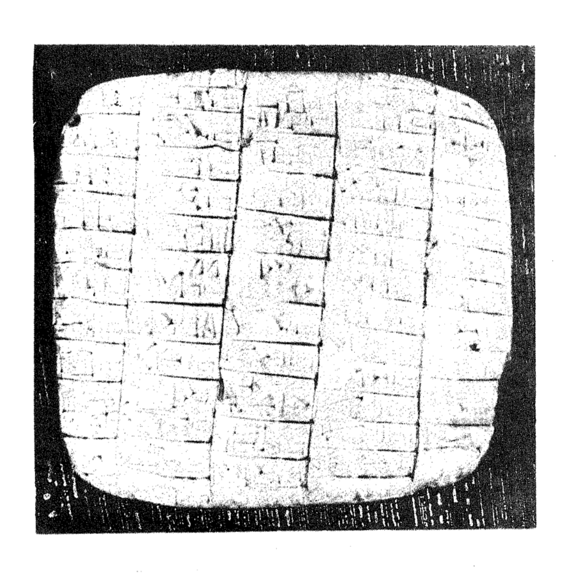
لقد كانت هذه المدن عامرة ببانيها ومعابدها وأسوارها ويتراوح عدد سكانها ما بين ١٠ - ٥٠ ألف نسمة، وكانت شوارعها متعرجة وكان لكل منها مزارع كبيرة ترويها الجداول والترع، وأبرز معالم المدينة السومرية المعبد المبني على مصطبة عالية والخاص باله المدينة أو شفيعها الذي لا يحمي المدينة فحسب بل يملكها، والملك هو وكيل الاله على شعبه، وفي وسط المعبد برج عال وهو الزقورة وفي القمة المركزية من المعبد تمثال الاله ومذبح وطاولة التقدمات وحول الحرم مبني من الطوب والاعمدة والابواب مزينة بالصور والمزار في القمة مطلي بألوان مختلفة.

ومثلما ذكرنا آنفا فقد تطورت الكتابة في هذا العهد واصبحت ملائمة لتدوين الاحداث التاريخية، وقد تطور الخط من طور الصور إلى طور العلامات والرموز ثم صارت مقاطع ذات قيم صوتية ترسم بخطوط مستقيمة عند كتابتها على ألواح الطين أو حفرها في الحجر تشبه المسامير شكلا ولذا سميت بالكتابة المسمارية، وبلغ عدد هذه العلامات نموا وتطورا ستمائة علامة بين رمز ومقطع، ثم تكونت الجملة الكاملة بإدخال الصيغة الفعلية فيها فأمكن التدوين بها، وكتبت أعمال الملوك وأخبار حروبهم، ودونت الأساطير والتراتيل الدينية.

وبعد ذلك بنحو من ألف سنة اي في حدود (٢٠٠٠ ق.م) جمع الكتبة السومريون والبابليون ما وقع تحت أيديهم من تلك الكتابات وما تناقلته الالسن من أخبار وأساطير وقصص ودونوا ذلك بشكل ثبت بأسماء السلالات التي حكمت في عصر فجر السلالات السومرية وذكروا الملوك وفق سنوات حكمهم.



من تماثيل أشنونة ـ عصر فجر السلالات الثاني ـ ميزيليم ـ تل أسمر ـ ديالى ـ العراق.



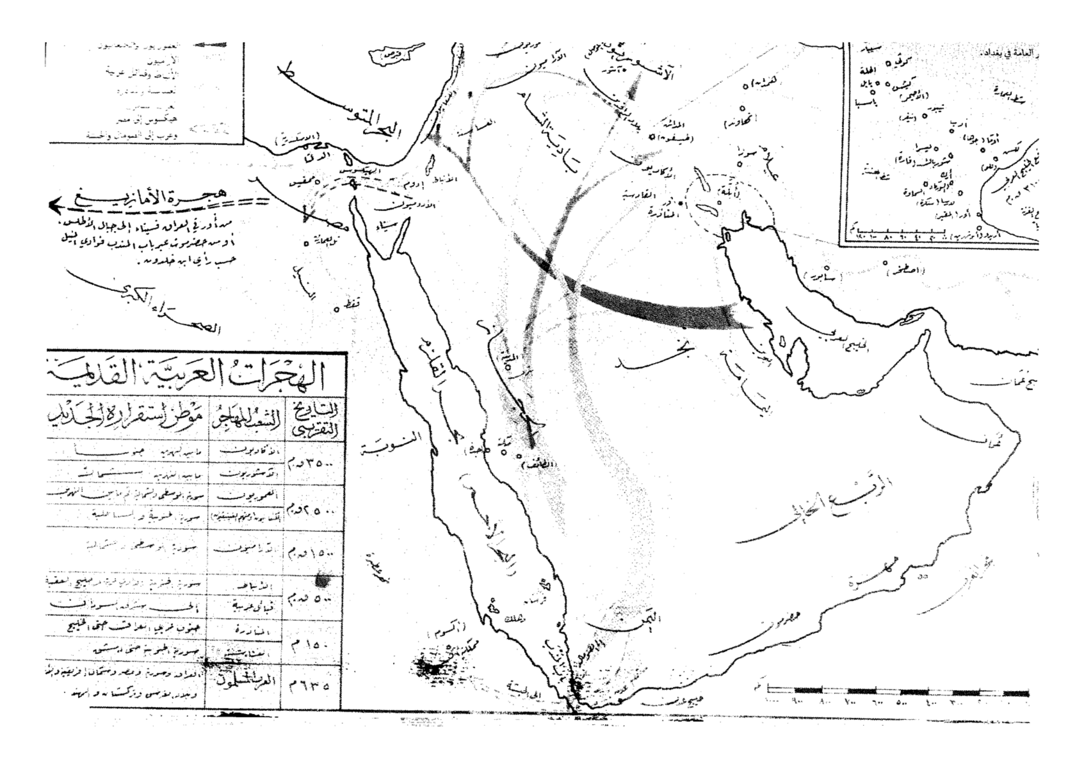
من الرسائل المتبادلة بين سومر وإيبلا (٢٣٠٠ - ٢٣٥٠ ق.م) إيبلا - تل مرديخ

الوجود القومي في التاريخ القديم

ينحصر تاريخ الوطن العربي ألقديم في أقدم فترة عاشها في مسيرته الحضارية، وهذه الفترة تتميز بأهم ناحية في تاريخ المشرق العربي القديم، وهي هجرة جماعات من سكان شبه جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب على هيئة موجات متتالية، وقد لعبت الهجرات دورا اساسيا في تغيير معطيات الكيان الحضاري العربي وتطورها في العالم القديم.. وتبدا هذه المرحلة وفق ما أجمع عليه العلماء والخبراء، في حدود الألف الثالث قبل الميلاد أي قبل حوالي خمسة آلاف عام.

ويؤكد الباحثون في أصول أقوام الشرق الأدنى أن أسلاف هذه الموجات كانوا يتمتعون بالأصل بحضارة عريقة قديمة في الطرف الجنوبي من جزيرة العرب، وكانت بلادهم في تلك الأزمان عامرة بأنهارها دائمة الجريان وبأمطارها دائمة الهطل، إلا أنها تعرضت إلى تغييرات مناخية وجيمورفولوجية في نهاية العصر الجليدي الأخير في حدود سنة ٢٠٠٠٠ ق.م الأمر الذي ادى إلى انحباس الأمطار واندثار الأنهر، فأخذ الجفاف ينتشر منذ ذلك الحين في النطاق الصحرواي الحالي، مما اضطر الانسان إلى الهجرة باتجاه أماكن ذات موارد طبيعية دائمة، فكان أن توصل هؤلاء السكان إلى شمالي الجزيرة ومنها أخذوا يتوزعون إلى الشمال في موجات متعاقبة في المناطق الشرقية والشمالية الغربية من بلادهم، فمنهم من توجه شرقا نحو وادي الرافدين، ومنهم من استقر في فلسطين وسورية ولبنان، وهناك من توجه غربا نحو شبه جزيرة سيناء، وأطراف وادي النيل وبقية شمال أفريقيا، وهكذا تكون وطننا العربي الكبير من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي في التاريخ القديم.

ومما ساعد على هذه المسيرات الحضارية أن ″حدود″ العراق الغربية و″حدود″ مصر الشمالية الشرقية و″حدود″ الأردن مفتوحة للصحراء، فكان بمقدور القبائل



الهجرات العربية القديمة

التاريخ التقريبي	الشعب المهاجر	موطن استقراره الجديد
٣٥٠٠ ق.م	الأكاديون	ما بين النهرين جنوباً
	الآشوريون	ما بين النهرين شمالاً
٢٥٠٠ ق.م	العموريون	سورية الوسطى والشمالية ثم ما بين النهرين
	الكنعانيون (ومنهم الفينيقيون)	سورية الجنوبية والساحلية
١٥٠٠ ق.م	الآراميون	سورية الوسطى والشمالية
٥٠٠ ق.م	الأنباط	سورية الجنوبية [illegible] خليج العقبة
	قبائل عربية	الحبشة وشرقي السودان
١٥٠ م	المناذرة	جنوب غربي العراق حتى الخليج
	الغساسنة	سورية الجنوبية حتى دمشق
٦٣٥ م	العرب المسلمون	العراق وسورية ومصر وشمالي إفريقية و[illegible] وبلاد فارس وتركستان والهند

العربية المنتشرة في الجزيرة العربية أن تتوغل فيها دون أن يصادفها حاجز جغرافي - أي حدود طبيعية - يعوق توغلها، وهذا دليل علمي ثابت وقاطع أيضا إلى جملة الأدلة والبراهين التي تؤكد بأن الوطن العربي هو وحدة جغرافية متكاملة، ولا توجد بين الأرض العربية حدود طبيعية على امتداد وطننا العربي الكبير، بينما الحدود الجغرافية الطبيعية تبرز وتتمثل في حدود الوطن العربي الكبير ذاته والمحيطة به، حيث نجد حدود الوطن العربي الشرقية تتمثل في سلسلة جبال زاجروس الممتدة على حدود العراق الشرقية وحتى عربستان، أما الحدود الغربية للوطن العربي فتتمثل بالمحيط الأطلسي، والحدود الشمالية تتمثل بسلسلة جبال طوروس، أما الحدود الجنوبية فتتمثل بالمحيط الهندي والصحراء الأفريقية الكبرى، وأن سلسلة جبال زاجروس وطوروس والخليج العربي وخليج عمان والمحيط الهندي والمحيط الأطلسي هي حدود معقدة كبرى.

ويحدد بعض الباحثين في التاريخ القديم وعلم الآثار، بداية الهجرات العربية إلى الهلال العربي الخصيب وشمال أفريقيا بالألف الرابع ق.م وربما قبل ذلك على رأي البعض الآخر، ولكن معلوماتنا المتسقاة من التنقيبات الآثارية الحديثة تحدد تاريخ الهجرات المذكورة بالألف الثالث ق.م وهذه الهجرات هي: الأكادية، والكنعانية، والاشورية، والعمورية، والآرامية، والمصرية، وسنبحث فيما يلي في كل من هذه الهجرات العربية الرئيسية بما له من صلة مباشرة بموضوع بحثنا حول الوجود القومي التاريخي للأمة العربية منذ التاريخ القديم وارتباطها به وفيما أنجزته من تراث حضاري عريق وناضج، لأن هذه الجذور ومضامينها الراسخة وما حققته من معطيات حضارية وانسانية هي التي بلورت الشخصية العربية الواحدة.

ومن النظريات العلمية التي سلطت الضوء على هذا الموضوع هي "النظرية العربية" التي تجعل الجزيرة العربية مهدا للأقوام العربية القديمة ومع هذا الرأي عشرات من المفكرين والعلماء مثل شبرنجر وشريدر وفنكلر وآدم سميث، بل أن معظم المفكرين والمؤرخين والآثاريين والأنثوغرافيين واللغويين في الوقت الراهن يؤكدون ذلك.

وعلى ذلك فإن الأقوام المسماة بالسامية هي في رأي شبرنجر "طبقات متعاقبة من العرب ومصدرها الجزيرة العربية"، والدليل على ذلك أن اللغة العربية هي أقرب أخواتها إلى لغة الأقوام العربية القديمة الأم، وأن غالبية الهجرات العربية المعروفة من الهجرة الأكادية حتى الفتح العربي الاسلامي خرجت من قلب الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب ولن تتخللها هجرات معاكسة، وأن الاقوام المهاجرة تتصف

اجتماعيا وسلوكيا ونفسيا بالصفات والاتجاهات البذوية ولا بد أن يكون منشؤها من وسط بواد وفي حياة زراعية ورعوية، وسواء أكان مصدر العرب من جنوب الجزيرة أم شمالها أو نجدها أو باديتها فالأمر واحد بالنسبة لنا.

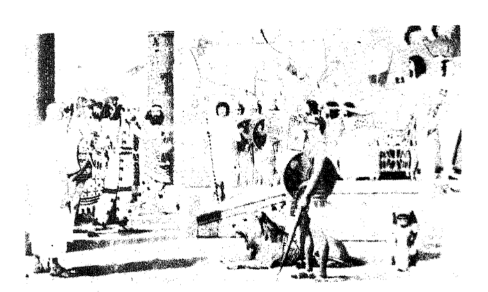


من آثار مصر القديمة ـ متحف شاغلوتنبرغ ـ برلين

من خلال ما تقدم تتضح معالم الصورة كون الجزيرة العربية هي مهد العرب الأساسي، وكانت منذ أقدم العصور وأعرقها قاعدة حضارية وإبداع، وهي موطن الجنس المتوسطي ـ العربي الذي ولد اقواما اصطلح سابقا على تسميتها بالشعوب السامية، وأن الرأي الأصح والأقرب إلى الواقع هو تسميتها بالشعب العربي القديم أو أقوام الجزيرة العربية، وهي حسب التسلسل الزمني:

أولا. الأقوام العربية البائدة، أو (ما قبل التاريخية): وهي التي انطلقت من الجزيرة العربية وعاشت في بعض أرجاء الهلال الخصيب منذ الألف الرابع أو الخامس ق.م، وهي سابقة للسومريين في بلاد وادي الرافدين.

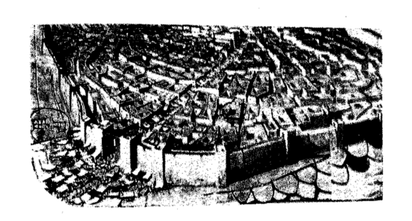
ثانيا . الأقوام العربية القديمة: كالأكاديين، والكيشيين، والماريين (سكان ماري)، والأبليين (سكان إيبلا)، والأموريين، والكنعانيين، وهم يتكلمون لغات أو لهجات قريبة جدا من اللغة العربية.



الفرعون المصري رمسيس الثاني في ديوانه الرسمي.



إحدى تعاويذ قدماء المصريين مرصعة بالأحجار الكريمة ضمن مجموعة كنوز توت عنخ آمون



إيبلا ـ تل مرديخ ـ شمال غرب سوريا

ثالثا . عرب الجنوب: وهم عرب اليمن (معين . سبأ . حمير)، والعرب في النصوص الآشورية (عرب بادية الشام، وعرب الشمال بشكل عام)، والأنباط، والايتوريون، والصفائيون، والثموديون، واللحيانيون، والحضريون (سكان الحضر في الموصل)، والتدمريون ثم الغساسنة والمناذرة.

رابعا . العرب بعد الفتح العربي الاسلامي وحتى الآن.

ان الجزيرة العربية وحدت تاريخيا وجغرافيا وحضاريا بين تيارات جنسية عديدة، فهناك تيار عربي متوسطي، وتيار عربي حامي من أفريقيا عبر البحر الأحمر، وتيار عربي من بلاد وادي الرافدين، وتيار عربي آسيوي من جهات الشمال، وهذه التيارات نطلق عليها تسمية العرب المستعربة، وقد تفاعلت اثنوغرافيا ولغويا وحضاريا ونفسيا مع اقوام الجزيرة العربية بحيث أدى ذلك إلى تبلور الشخصية العربية الواحدة عبر حقب التاريخ.

وهناك فئة نجمت عن اصول خليطة حثية ميتانية وغير ذلك، ولم تكن جنسا أو عرقا من الناحية الأنثروبولوجية، كما أنها لم تكن كذلك في أي وقت من الأوقات، واقتبست فيما بعد لغة من لغات العربية كالكنعانية مثلا واستعملتها واستوطنت فترة ضئيلة جدا في وسط الكنعانيين ـ سكان فلسطين الأصليين ـ ولكنها في عزلة تامة

وتفرد مطلق في نفسيتها وأشكال مميزة لها كالملامح الثقيلة والأنوف المعوجة والشفاه الغليظة، ونعني بهذه الفئة المنعزلة (العبرانيين) الذين لم يكونوا في الفترة القصيرة والمحدودة التي قبعوا بها في فلسطين على انسجام مع أحد حتى مع بعضهم البعض.

وتوجد هجرة ثابتة من الجزيرة العربية أتت في الألف الثالث ق.م مع الاكاديين تقريبا واستقرت في شمالي العراق وفي بلاد كردستان وفي مناطق الاناضول الوسطى زمنا طويلا فرفدتها واختلطت بها أقوام شمالية فتغيرت ملامحها وطباعها وأصبح لها شأن كبير ودور بارز في صنع حضارة شمالي بلاد الرافدين وهم الآشوريين.

لقد تضافرت عدة عوامل مجتمعة مع انفتاح الجزيرة العربية على هلال مخصب في الشمال على جعل حركة الأقوام العربية منذ أقدم العصور نحو العراق والشام ومصر، فكانت حركة واسعة النطاق بذلك الاتجاه ولكنها تختلف بطئا وسرعة وتتباين تفرقا وكثافة حسب الظروف المناخية والبشرية في الجزيرة العربية ومرفقا لتبدل الأحوال السياسية في العراق وسورية وكنعان ومصر، وأن أقدم هذه الموجات على الأقل للألف الرابع ق.م أو قبل ذلك مثلما تحدثنا سابقا، وان أغلب المعلومات عن هذه الهجرات محدودة نسبيا لأنها حصلت قبل اكتشاف الكتابة وتدوين التاريخ.

وينوه العالم (ليونارد وولي) بهذه الهجرات في سياق حديثه عن أرض جنوبي وادي الرافدين فيقول: "سكنها مع السومريون ـ ساميون جنوبيون ـ هم أسلاف العرب المحدثين، وارتحلت بيوت وعشائر متفرقة منهم إلى الأرض الجديدة، وأن بعضهم سكن الأرض الممتدة على أعالي الفرات، ثم انحدروا إلى الجزء الأسفل من بلاد الرافدين"، كما ينوه بذلك العالم (رينيه دوزو) فيقول: "إذا صح ما لاحظه الاستاذ اندريه بارو فقد كانت هناك منذ مطلع الألف الرابع ق.م قبائل من الجزيرة العربية قد استقرت عند دجلة والفرات، وأن هذه الهجرة العربية القديمة هي التي نبت فيها الاكاديون وقاموا بتأسيس أول سلالة عربية في بلاد الرافدين، أو لعل الاكاديين هجرة تلتها، كما أن الاكاديين يشكلون هجرة واحدة مع العموريون ـ الكنعانيون الذين استقروا في سوريا الطبيعية ومنها تحرك البعض منهم إلى العراق فيما بعد وأسس سلالة بابل الأولى.

لقد جرى العلماء والمؤرخين على تعداد ست هجرات متعاقبة من جزيرة العرب بين واحدة واخرى حوالي (١٠٠٠ عام) تقريبا، ونظموها بشكل متتالي، وأن البعض منها كان متعاصرا أو متقاربا، وان أول هذه الهجرات هي هجرة الاكاديين إلى

ALPHABET D'OUGARIT	LETTRES LATINES	LETTRES ARABES	ALPHABET D'OUGARIT	LETTRES LATINES	LETTRES ARABES	ALPHABET D'OUGARIT	LETTRES LATINES	LETTRES ARABES
𐎀	A	ا	𐎊	Y	ي	𐎔	P	ف
𐎁	B	ب	𐎋	K	ك	𐎕		ص
𐎂	G	ج	𐎌	Š	ش	𐎖	Q	ق
𐎃	Ḫ	خ	𐎍	L	ل	𐎗	R	ر
𐎄	D	د	𐎎	M	م	𐎘	Ṯ	ث
𐎅	H	هـ	𐎏	Ḏ	ذ	𐎙	Ġ	غ
𐎆	W	و	𐎐	N	ن	𐎚	T	ت
𐎇	Z	ز	𐎑	Ẓ	ظ	𐎛	I	إ
𐎈	Ḥ	ح	𐎒	S	س	𐎜	OU	ؤ
𐎉	Ṭ	ط	𐎓	ʿ	ع	𐎝	([illegible])	(س)

الابجدية الكنعانية ـ اوغاريت (القرن ١٤ ق.م)

العراق في حدود النصف الثاني من الألف الرابع ق.م والمؤكد لدينا أنها آسست دوله عظمى في بلاد الرافدين في النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، وكان الاشوريين قد استقروا في شمالي العراق في حدود هذا التاريخ، ولكن دولتهم لم تظهر إلا بعد حوالي ألف عام من دولة الاكاديين، وفي حدود أواخر الألف الرابع ق.م حل في بلاد الشام والفرات الأوسط العموريون ـ الكنعانيون واستقروا فيها، وأن اصل اسم العموريون (الآموريين) مشتق من (أمورو) أو (مارتو) أي الغرب لأنهم من الهجرات العربية التي اتجهت غرباً، وصار اسم "أمورو" اسما لسورية.

ان أقدم اشارة إلى العموريين كانت في زمن (سرجون الأول) مؤسس الامبراطورية الاكادية في النصف الثاني من الألف الثالث ق.م أما الفرع السوري المعروف بالكنعاني فقد استقر على طول الساحل العربي الممتد على البحر الأبيض المتوسط من الاسكندرية شمالي غرب سورية وحتى شمالي سيناء، وتوطدت علاقاته بمصر في وقت مبكر جدا وقد عرف اليونان هؤلاء الكنعانيون في وقت لاحق باسم (الفينيقيين).



نصب آشوري

وفى منتصف الألف الثاني ق. تمت هجرة العرب الآراميين إلى سورية الطبيعية ونفدو إلى منطقة الفرات الأوسط حتى حدود الأناصول وأسسو أول دولهم في حدود نهاية الالف الثاني ق.م، وأن الكلدانيين الدين أسسو آخر امبراطورية عربية بابلية في بلا الرافدين كانوا من الاراميين.

ومنذ نهاية الألف الثاني ق.م تظهر القبائل العربية باسمها الصحيح والثابت (عربي . يعربي . عريبي . غربى . الخ) في كل بادية الشام والعراق، وتحط في حوالي منتصف الألف الاول ق.م بين العقبة وبصرى (الأنباط)، ومن تم بين حمص والفرات (التدمريون)، وفي الموصل والجزيرة (الحصريون)، وعلى سيف حماد بين الحجار والصفا (اللحيانيون والنموديون والصفائيون)، وتؤسس بعضها إمارات في حمص وجبل لبنان وحوران.

وفي حدود منتصف القرن الثاني الميلادي يأتي المناذرة في العراق والغساسنة في بلاد الشام وكانت آخر موجة عربية هي مرحلة الفتح العربي الاسلامي في النصف الأول من القرن السابع الميلادي، وكان من شأن هذه الموجة العربية تحرير الجزيرة

العربية حتى حدودها الشمالية ـ جبال طوروس ـ من عهود الهيمنة الأجنبية (الفرس الساسانيون والرومان)، وقد تم تحرير أفريقيا العربية ـ شمال أفريقيا ـ ووصلت الحضارة العربية إلى الأندلس حتى شمالها الشرقي غربا، وحدود الصين شرقا.

ويلاحظ أننا لم نتبع التقسيم التقليدي للموجات العربية، وتركنا الجداول الصنعية، والقصد من ذلك أن نبين جهد المستطاع مسيرة دائمة وحركة لن تنقطع وتداخلا وتفاعلا دائما، الأمر الذي يدل على أن العرب كانوا دوما في هذه الارجاء ولم يغيبوا في عهد من العهود...

حول الحضارات الرافدية القديمة

اطلق اسم سومر قديما على جنوبي وادي الرافدين، وعلى وجه التحديد منطقة السهل الرسوبي الخصب من تراكم الطين المترسب في مياه نهري دجلة والفرات عبر حقب جيمورفولوجية تقدر بآلاف السنين.

ان اسم سومر يعتبر من أقدم الأسماء التي أطلقت على جنوب العراق واسم (شومرد) كلمة أكادية تكتب بالمصطلح المسماري "كي أن جي" أي (البلاد السيدة)، وأطلقت عليها أقوام الجزيرة العربية مصطلح "مات سوميريم" وتمتد اراضي السهل الرسوبي في وادي الرافدين حاليا من جنوب بغداد وحتى الخليج العربي.

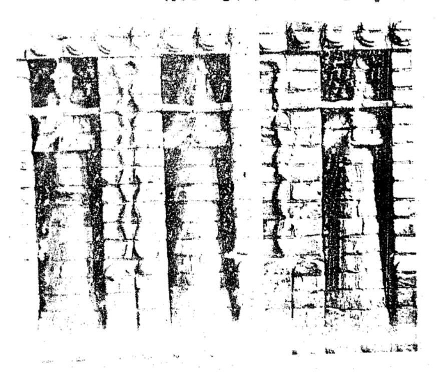
تعتبر سومر من المواقع الهامة التي شهدت أقدم حضارة معروفة في العالم القديم وكانت مهد إرساء دعائم بدايات الحضارة البشرية نظرا لما أفرزته من قيم حضارية وإبداعية كانت بمثابة الأساس الذي ارتكزت عليه مقومات التمدن البشري فيما بعد.

لقد وجدت حضارة زراعية في جنوبي وادي الرافدين مثلما ذكرنا آنفاً منذ سنة (٥٥٠٠ ق.م) وتطورت خلال الاف السنين ولا يمكن اعطاء هوية معنية لأصحابها قبل عهد الكتابة والتدوين، وقد تطورت القرى إلى مدن وتم انشاء . الدولة المدينة . أي دويلات المدن في الألف الرابع ق.م، وهو الزمن الذي برزت فيه اللغة والحضارة السومرية، وخلال الف سنة تبعت (تل العُبيد) واكتشاف الكتابة التي أصبح باكتشافها عاملا مهما في تدوين الأحداث التاريخية، وقدوم الاقوام العربية القديمة من شبه جزيرة العرب وبادية الشام لتشكل السمة الحضارية للمنطقة وتبلورها منذ فجر التاريخ.

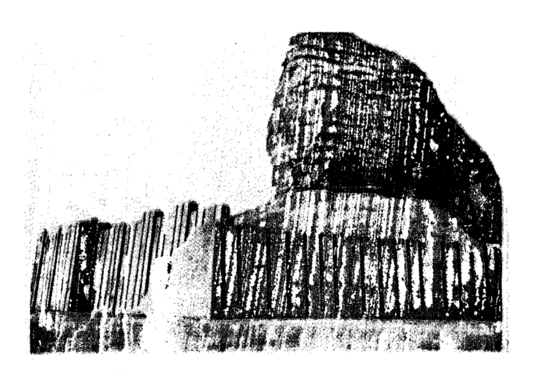
ويستدل من الدراسات اللغوية أن السومريين سكنوا في الجنوب من نيبور إلى الخليج العربي، وسكن الاكاديون والبابليون في الوسط، أما الاشوريون فقد سكنوا

في الشمال.

يقسم فجر لتاريخ السومري إلى ثلاث عصور فرعية وهي عصر (اوروك) وعصر (حمدة نصر) وعصر (كيش)، ورغم صغر بلاد سومر البالغة (٢٥ لف كم مربع)، فقد قامت في بداية الألف الثالث ق.م دويلات سومرية متفرقة في مدن مختلفة في سومر يحكم في كل منها سلالة مستقلة عن الاخرى وتطورت لكتابة في ذلك الحين واصبحت ملائمة لتدوين الحدث التاريخي فأخذ ملوك تلك السلالات يصفون حروبهم وانجازاتهم وأعمالهم ويسطرون ذلك على ألواح الطين او الحجر وبذلك انتقل الناس إلى عهد جديد سمي بالعصور التاريخية لأن الكتابة باكتشافها وتطورها أصبحت وسيلة لتدوين التاريخ، وقد سميت بداية هذه المرحلة من الحكم في العراق بعصر دويلات المدن أو عصر فجر لسلالات، يمتد هذا العصر فيما بين نهاية عصر جمدة نصر (٢٩٠٠ ق.م) وبدايه عهد الامبرطورية الاكادية السرجونية (٢٣٥٠ ق.م) وهو من أغنى أدوار وادي الرافدين من جهة لثقافية والحضارية، وقد وجدت معالم هذه الحضارة في اشهر المدن القديمة مثل سبار (تل أبو حبة)، شوروباك فارة)، كيش (تل الأحيمر)، نيبور (نفر)، لجش(تلو)، سنوبه (تل اسمر)، خفاجي تل حر)،ماري (تل الحريري)...



مقطع من واحهة المعبد شي في الوركاء الذى بناه كر بنداش



زقو دور كوريكالزو (عقرقوف) من العهد لكاشي في لعراق.

أما بالنسبة للاكاديين فقد بدأت سلالتهم عمليا ساسيس طور سرجون الاكدي، ل السلالات العربية في وادي الرافدين سمت لسلالة لاكديه نسبة الى صمها مديه اكد شمالي سومر، وقد اسس لسلالة أول امبرطورية بلاد لرافدين ولعالم دامت قرابة قرين الزمن ومدت من الخليج العر حتى لبحر المتوسط مع قبرص وكريت.

لقد كانت فتره الاكاديين لامعة من الناحية السياسيه والحضاريه حيث نشرت العلوم والمعارف والفنون والكتابة في العراق والاقطار المجاورة، فد وجدت الواح من الطين مكتوبة لخط المسماري وباللغة الاكادية في كثير من المناطق البعيدة في الاناضول عربستان، وقد ترقت الفنون الجميلة والقيم الابداعية حث توجد من هذه لمرحلة تماثيل حداريات منحوته تمثل مدى الرقي لذي بلغ ساو كسرا.

وفي المرحلة ما بين (١١١ ـ٢٠٠٢) برزت سلالة ور الثالثة وقامت باحياء الحضارة لسومريه حيث تقدمت القيم الثقافيه والانسانية في هذا العهد تقدما ملموسا وانتشرت لمعارف من علوم وآداب وفنون ودونت كثير من الاخبار التاريخية القديمة والقصص لميثولوجية وشرعت لقوانين لتي تنشر قيم العدالة في المجتمع.

وبعد سقوط سلالة أور لثالثة تألقت عدة ويلات في مدن مختلفة بعد احتدام لصراع بين الملوك لمحليين، وكانت المدن لا سه التي صبح لها ملوك وسلالات

هي (إيسن)، و(لارسا)، و(ماري)، و(بابل)، و(الوركاء)، و(كيش)، و(اشنونة)، و(سبار)، و(آشور)، وقد انتهى الصراع على السلطة بعد فترة حددت بقرنين من الزمن على اثر انتصار مدينة بابل في زمن ملكها السادس حمورابي الذي قام بضم كافة المدن إلى دولة موحدة عرفت بالمملكة البابلية القديمة، وقد سمى المؤرخون الحقبةالواقعة بين سقوط سلالة أور الثالثة (٢٠٠٣ ق.م)، وسقوط بابل (١٥٩٤ ق.م) بالعهد البابلي القديم الذي دام أربعة قرون وقد عرف في هذا العهد دويلات حكمتها سلالات وهي على التوالي: سلالة إيسن ، سلالة لارسا سلالة بابل الأولى.

كتابات مسمارية اكادية ـ بابلية.

لقد بلغت حضارة العراق القديم في العهد البابلي الأول أوج عظمتها وازدهارها وعمت اللغة البابلية تكلما وكتابة في بلاد الشرق الأدنى القديم وارتقت العلوم والمعارف والفنون، واتسعت التجارة اتساعا لا مثيل يضاهيه في تاريخ المنطقة، وكانت الادارة المركزية تحكم البلاد بقانون موحد سنهُ حمورابي لجميع شعوب هذه البلاد.

وفي شمال العراق استقر الاشوريون بين الموصل والشرقاط وكانت هذه المنطقة تعرف باسم (سوبارتو) فقامت هذه الجماعات بتأسيس مدينة آشور، والنمرود، ونينوى، وخرسباد دور شروكين اي مدينة سرجون.

لقد كان الآشوريون يتكلمون بلهجة من لهجات أقوام الجزيرة العربية القديمة

قريبة من اللهجة التي يتكلم بها الآكاديون وكتبوا لغتهم وثقافتهم بالخط المسمارى.

وبالنظر لموقع بلاد آشور فقد بنت نظامها على أساس حربي، وقد علّمت الحرب الدائمة مواطني آشور كيف يحمون أراضيهم ويتحينون الفرص للاستقلال في مدنهم، وقد ساعدتهم فتوحاتهم على توسيع تجارتهم فقاموا بإنشاء محطات تجاريه في عدة أماكن في جنوبي شرق آسيا الصغرى.

واهتم الاشوريون بالآداب والفنون الجميلة، فأتقنوا فن النحت والتصوير وانفتحوا على الثقافة البابلية، ولا أجل على اهتمامهم بالناحية الأدبية والثقافيه مما تركوه من تراث حضاري في خزائن الكتب ـ ألواح الطين ـ في مكتبة نينوى التي أنشأها الملك آشور بانيبال والتي تعتبر أول مكتبة في تاريخ البشرية.

كلكامش.. الانسان والخلود

في حدود ٢٧٥ سنة ق.م أسس الملك "مس كي أحاشر سلالة أوروك (الوركاء) لى، نقال نأن هذا الملك بسط حكمه من جبال ز.حروس حتى البحر المتوسط. تم حلفه بنه نمركار" الذي جعلته الأساطير من انصاف الالهة واحتل مدينة أراتا يرن لنحصل على الحجارة والمعادن من أجل بناء المعبد وقد خلّد هذه الواقعة شاعر سومر فيما عثرها صموئيل نوح كريمر مؤلف كتاب من ألواح سومر، أول حرب نفسية في التاريخ لذلك تدخل ضمن باب الأدب السياسي.

إن عدد ملوك سلالة الوركاء الأولى بلغ ١٢ ملكاً حكموا ٢٣ سنة وفق تقدير ست للملوك ومن بعض اسمائهم وردت في الأساطير المدونة في الأخبار التاريخيه لتى كتشفت في تنقيبات الوركاء.

وقد حلف نمر ر سالف الذكر نبه لوكال بندا -الراعي الصالح- الذي الهته الأساطير وجعلته أبا لكلكامش بطل الملحمة لعراقية لشهيرة، وخلف حلجامش إبنه دومورو تموز) لذى عرف بأنه اله النبات والخضره في حدود (٢٧٠٠ ق.م)، وفي عهد تموز هدد سيطرة الوركاء حاكمان من كش وهي احدى دويلات المدن لسومريه لقديمه، والحاكمان هما "ان مي بار حي سي" المعاصر له، أجا" المعاصر لكلكامش، ولم يكونا مجرد قادة عسكريين بل كهنة أيضاً، فقاما ببناء (بيت الجبل . معبد انليل لآلهة السومرية) في واسط في اسط بلاد سومر- ى كور-

في تلك لفترة وقعت المنافسة بين كيش حكم -أجا- وأوروك تحت حكم

كلكامش في حدود ٢٦٧٥ ق.م و؟ دت أن تكون حرباً من أجل السيادة الكاملة على سومر فقام بمحاصرة جيش كش مدينة الوركاء حصاراً قصيراً ثم تصالحت المدينتان، ويبدو أن السيادة بقيت بيد لوركاء، وقد خلّد الحادثة شاعر سومري بقصيدة (جلجامش وأجا ملك كيش) وفيها يذكر أول مجلس نيابي في التاريخ مؤلف من مجلسين مجلس شيوخ ومجلس محاربين، وقام كلكامش بتشييد أسوار مدينة الوركاء، واقام بعض المعابد فيها، ثم قضى على أجا آخر ملوك سلالة كيش.

كلكامش:

في تاريخ العراق القديم ظهرت شخصية سياسية وأدبية متمثلة بكلكامش الذي حكم في النصف الأول من الألف الثالث ق.م، أو بالأحرى نهاية عهد لانبعاث لسومري سلالة أور الثالثة وقد تم جمع القصائد الشعريه لاساطير السومرية ومن ضمنها ملحمة كلكامش الشهيرة.

لقد أصبحت أعمال كلكامش وفعالياته ومعامراته مادة غزيرة للملاحم وقصص سومرية وبابلية عديدة، ،رد سمه كما ذكرنا في ثبت الملوك السومري عن سلالة أوروك الأولى هي سلالة ثانية حكمت بعد الطوفان وكانت سلالة كيش أول سلالة حكمت بعد الطوفا ماشرة، ويأتي ترتب حكم الملك كلكامش في سلالة الوركاء لأولى خامس ملك قد خصص له ثبت الملوك ١٢٦ عاماً.

وتروي القصص ـ كا جاء في ملحمة كلكامش ـ إن أمه هي الالهة ننسون زوجة الأله لوكال بندا، وذكره أحد ملوك لوركاء ـ أنام ـ من العهد البابلي القديم في مطلع الألف الثاني ق.م، بأن سور مدينة الوركاء كان من أعمال كلكامش..

وكما ذكر في كتابات الملك أورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة (٢١٠٠ـ ١٩٠٠ ق.م) أن كلكامش صار ملكا وقاضياً في لعالم لأسفل، وذكر بهذه الصفة في تعويذة دينية باسم الاله كلكامش.

ولعل أقدم كتابة ذكرت اسم كلكامش ولوكال بندا بصفتهما اسمين مؤلهين على الألواح الصورية التي وجدت في شروباك لقديمة ـ فارة ـ ويرجع زمنها على الأرجح إلى أواخر عهد جمدة نصر (٣٢٠٠ ق.م).

وموجز القول إنه يبدو من حماع الأ.لة الكتابية والأثرية إن كلكامش كان أحد حكام المدن السومرية المدولة مطلع عصر فجر السلالات (٣٠٠٠ـ ٢٤٠٠ ق.م) Earl Dynastic Period، ولعله من أواخر عهد حمدة نصر المذكور

آنفاًو وأنه حكم في الوركاء نسبت إليه أعمال البطولة المختلفة في القصص والأساطير السومرية ومنها قصة ـ أجا ـ ملك كيش ونزاعه مع كلكامش..

أما كتابة اسم كلكامش فقد وردت في عدة صيغ وهي:

١ - في السومرية: GISH - BIL - GA - MESH.

٢ - وبالطريقة الرمزية بالعلامات: IS(GISH) TU - BAR.

وقد ذكرت هذه الصيغة المذكورة في النصوص الأكادية مرادفة للقيم الصوتية للأسم أي : GI - IL - GA - MESH.

٣ . وفي ألواح العهد البابلي القديم كتب الأسم مختصراً بمجرد: GISH.

٤ . وفي النسخ المستخرجة من عاصمة الحثيين (في النص الأكادي والحثي): GISH - GIM - MASH.

٥ . وذكره بعض الكتاب الرومان بصيغة: Gilgamos.

٦ . وفي إثبات آرامية بعض الملوك البابليين ذكر البطل بصيغة . جميموس . وجلجموس.

هذا ولا يعلم اسم كلكامش بالضبط، وقد ذكرت بعض النصوص الأكادية ترجمة له باللّغة الأكادية معناها المحارب الذي في الطليعة، كما أنه هناك احتمالاً لأسمه السومري ومعناه ـ الرجل الذي سيكون نواة لشجرة جديدة ـ اي الرجل الذي سيولد أسرة وسلالة.

مدخل...

تعتبر ملحمة كلكامش من أهم الأعمال الأبداعية التي انجزت في التاريخ القديم.. حيث أن كلكامش . البطل والباحث الأزلي عن الحقيقة، يتناول أهم المواضيع الأنسانية محاولاً البحث عن سر الخلود هذا الحلم البشري الجميل.

إن ملحمة كلكامش تعتبر من أشهر مقطوعات الآداب الميثولوجية التي ظهرت في العراق القديم، واشتهرت في كافة أنحاء العالم القديم والوسيط والحديث حيث ترجمت إلى معظم لغات العالم.

ومثلما ذكرنا آنفاً فقد تم جمع كافة الكتابات السياسية والأدبية والقصائد الشعرية والأساطير ومن ضمنها ملحمة كلكامش، ومع ذلك فإن الملحمة لن تأخذ

شكلها النهائي، ومن المحتمل أن أحد الشعراء المبدعين والنابهين استطاع أن يعيد صياغة الملحمة من جديد في نهاية الألف الثاني ق.م بحيث أصبحت كما هي عليه في الوقت الراهن من ناحية الشكل والمضمون الموحدين.

وككل الأبطال الاماجد جرت أحداث غير اعتيادية حين ولد كلكامش، فكان جده يخشى على تاجه نتيجة تنبؤ، فألقى بحفيده من أعلى ولكن التنبؤ يتحقق رغم كل شيء حيث ينتصر الفتى كلكامش على جده وينصب نفسه ملكاً على الوركاء، حيث يكون الفتى ـ البطل ظاهرة رائعة "بعد أن خلق كلكامش، احسن الاله خلقه، حباه (شمش) السماوي، بالحسن وخصه (ادد) بالبطولة."

جعل الالهه العظام كلكامش ملكاً قوياً حازماً وصارماً، وشكى أهل الوركاء بأنه يرسلهم إلى جبهات القتال ولا يدعهم في الهدوء والاستقرار وحالة التراخي والهزيمة لحظة واحدة، وعليهم شكواهم رب السماء "آنو" وبمساعدة الاله تم خلق بطل قوي باسم "انكيدو":

وأخيراً سمع الاله شكواهم
فاستدعى آلهة السماء رب "أوروك" وقالوا له:
ألم تخلق أنت هذا الوحش الجبار؟؟
الذي لا يضاهي فتك أسلحته سلاح آخر
والذي تستيقظ رعيته على قرع الطبل،
كلكامش الذي لم يترك أباً طليقاً لابنه
وما فتئ يضطهد الناس بمظالمه ليل نهار
على أنه هو (راعي) أوروك، السور والحمى
هو راعيهم ولكنه يضطهدهم، وهو قوي جميل وحكيم
إن كلكامش لم يترك عذراء لحبيبها
ولا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل
ولما استمع "آنو" الجليل إلى شكواهم
دعوا "أوروك" العظيمة وقالوا لها:
يا "أوروك"، أنت التي خلقت هذا الرجل بأمر "انليل". فاخلقي الآن معارضا له يضارعه في قوة اللب والعزم ليكونا في صراع مستديم لتنال

. أوروك . السلام والرحمة.
حالما سمعت (أوروك) ذلك
تصورت في لبها صورة لـ (آنو)
وغسلت (أوروك) يديها وأخدت قبضه من طين ورمتها في البرية وفي البرية خلقت (انكيدو) الصنديد، سليل نينورتا القوي يكسو الشعر جسمه، وشعر أسه كشعر المراة ونمت فروع شعر رأسه جدائل متموجة.
وبعد ذهاب الاحلام المزعجة قلو انكيدو وتصور نفسه بين الموتى في العالم الأسفل، وقد داهمه مرض سرعان ما قضى على حياته، وحزن كلكامش حزنا شديداً على صديقه وراح ينعوه:
"اسمعوني أيها الشيوخ
من أجل أنكيدو، خلي وصاحبي، أبكي وأنوح نواح الثكلى..
إنه الفأس التي في جنبي وقوس في يدي
والخنجر الذي يدرأ عني
وفرحتي وبهجتي وكسوة عيدي
لقد ظهر شيطان وسرقهُ مني
خلي وأخي الأصغر الذي إقتنص الحمار الوحشي
في التلال والسمور في الصحارى
(أنكيدو) صديقي وأخي الأصغر
الذي اقتنص الوحش في النجاد والنمور في الصحارى..
تغلبنا معا على الصعاب وارتقينا أعالي الجبال
ومسكنا بالثور السماوى ونحرنا
قهرنا (خمبابا) الساكن في غابة الارز
فأي سنة (من النوم) هذه الذي غلبتك وتمكنت منك؟؟ طوال الظلام فلا تسمعني..

ثم أخذت الحيطه تغزو كلكامش وراح يولي وجهه شطر طريق الخلود الصعب حيث البشر العقار يحرسون المداخل والمخارج لمقر اله الشمس (شمش) وبعد الرجاء والابتهال استطاع أن يحصل منهم على الموافقة لاجتياز الجبل المظلم وبعد تخطي الأهوال والمصاعب والمخاطر العديدة تمكن كلكامش من .وصو. إلى الاهداف التي رسمها في نهجه.

قراءة في الملحمه

ظلت قضه "الحياة والموت". تمثل كابوساً مقلقاً يقص مضجع الانسان، ويحير تفكيره، منذ أن وعى "وجوده". وأدرك أنه عياناً يختلف ويتميز عن غير. من الاشياء. الجامد: الخاويه، المحيطه به وأنه "كائن" ينفصل عنها بكونه وجوداً ينكمش" و"ينتشر" بمحض ارادته أنه كائن يتنفس ويريد ويرفض وشحصت أمامه الحياة، أحياناً، وقد تلبست بثوب الموت القشيب، الذي لا تنوي الفكاك منه. وفي أحيان أخرى. ظهر له. أن "الموت" ونقيضه "الحياة" رحلتان.. وظلت الحياه. في نظره. عزاء مؤقتاً. لا مبرر لها. وبرر "الموت". في تصوره. وكأنه عراء طويل. يفتقد كل معنى، وانكشف الوجود (الانسان-الطبيعة) أمام ناظريه. وكأنه خواء لا محدود.

واثارت هذه القضية خوف الانسان وقلقه ودفعته إلى الأمعا . في الوجود، وساقته إلى حو.ر داخلي طويل عبّر عنه بتساؤلات عديدة وردت في اول حوار أجراه الانسان في أول نص ملحمي سجلته البشريه:

قال "آتو-نابشتم" لكلكامش:

إن الموت قاس لا يرحم

هل بنينا بيتاً إلى الأبد؟

وهل ختمنا عقداً يدوم إلى الأبد؟

.. وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام؟

ولافراشة لا تكاد تحرج من شرنقتها فتبصر وجه

الشمس حتى يحل أجلها ولم يكن دوام

وخلود منذ الأزل.

ويظل كلكامش وانكيدو قطبي هذه الملحمة يعكسان هموم الانسانية عبر أحداثها تجاه هذه القضية. يهوى أنكيدو القطب الأول بعد رحلتين، في رحلة الموت

الأولى قتل خمبابا وقطع شجرة الأرز، وفي رحلة الموت الثانية قام بقتل الثور السماوي وفجيعة عشتار الجليلة:

انكيدو لم يرفع عينيه
فحبس قلبه فلم ينبض
وعند ذاك يرفع صديقه كالعروس
وأخذ يزأر حوله كالسبع
وصار يروح ويجيء أمام الفراش وهو ينظر إليه
وينتف شعره ويرميه على الأرض.

ويسيطر القلق والحيرة والأنفصام عن الحياة على القطب الثاني كلكامش، فيهيم على نهجهِ طارقاً كل باب وسالكاً كل طريق ثم يعود خائباً منكسراً وقد سقط كل معنىً للحياة من عينيه:

بكى كلكامش بكاءً مراً وهام على وجهه في
الصحارى (وصار يناجي نفسه):
إذا ما مت أفلا يكون مصيري مثل أنكيدو؟
لقد حلّ الحزن والأسى بروحي
خفت من الموت وها أنا أهيم في البوادي

وسقط وجوده في مجانية خالية من كل فعل يحدد طبيعته، وظل يلهث خلف برقع زائف.. برقع الخلود الذي ضيّع على كلكامش حياته في متاهات لا حد لها:

من أجل من يا "أور . شنابي" كلّت يداي؟
ومن أجل من استنزفت دم لبي (قلبي)؟
لم أحقق لنفسي مغنماً
يأتي هذا المخلوق فيخطف النبات مني
وجدت أن هذا نذير لي أن أتخلى عن مطلبي
وأترك السفينة في الساحل.

ويبقى كلكامش كائناً نسبياً يتأثر ويؤثر في الظروف يعمل ويعيش ويلهو.. يصنع الشر ويستغل الآخرين وينزل الظلم بهم:

كلكامش الذي لم يترك إبناً طليقاً لوالده

وما فتئ يكدر الناس بمظالمه ليل نهار

وأنه كائن نسبي من حيث أنه يعمل ضد الشر والأستغلال ويكافح في معترك الحياة ويسلك الدروب الشائكة والصعبة من أجل إنزال العقاب بأهلهما:

يا ننسون لقد اعترفت أمراً جسيماً

اعترفت سفراً بعيداً إلى موطن "خمبابا"

اذبح خمبابا المارد

وأمحُ من على الأرض كل شر

ويعيش في رحم الحياة يتفاعل ويؤثر في تناقضاتها، يتفاعل في أفراحها وأحزانها مع الآخرين، يختار معهم ما يختارون ويرفض ما يرفضون.. انه جزء لا يتجزأ منهم، وهم المرايا التي تعكس له وجوده:

خاطب شيوخ أوروك كلكامش وقالوا له:

عسى أن ينصرك إلهك الحامي

وعساه أن يرجعك سالماً في طريق عودتك إلى بلدك

ويعيدك سالماً إلى ميناء الوركاء

ويحيا حياة وحيدةً متفردة. كذات. منغلقة تعاني الغربة في عالم غريب بأشيائه وظواره وزخارفه وترهاته وأناسه كذات تحمل هموماً وآمالاً ووعوداً من نوع خاص:

كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي

ويملأ الأسى والحزن قلبي وتتبدل هيئتي

لقد أدرك مصير البشر صاحبي

وأنا سأموت مثله فلا أقوم أبد الآبدين

.. أيكون في وسعي ألا أرى الموت الذي أخشاه وأرهبه.

وبطل "جلجامش" مخلوقاً صنيعة فعل فذ لخالق متعال "كائن مطلق" وارضاً مواتاً وقد نفخت فيها الآلهة "نبض" الحياة:

خلق جلجامش، وأحسن الالة العظيم خلقه حباه "شمش" السماوي بالحسن، وخصّه "أدد" بالبطولة.

وأنه رمز المدينة والمدينة ورمز الصراع بين "الحياة العمل".

و"الحياة" في صورة بحث ونشدان الخلود:

إلى أين تسعى يا كلكامش
ان الحياة اليت تبغي لن تجد
حينما خلقت الالهة العظام. البشر
قدرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة
وأدرك بعد فوات الآوان وضياع العمر أن "الحياة العمل". هي الخلود الانساني الوحيد:
لقد سلك أسفاراً بعيدة متقلباً ما بين التعب والراحة
.. بني أسوار "أوروك " المحصنة
.. اعلُ.. وتمش فوق أسوار "أوروك"
وأفحص قواعد أسوارها. وانظر إلى آجر بنائها
وتيقن أليس من الآجر المفخور..

ويعكس وجود "أنكيدو" عملية الخلق الالهي، ذلك الخلق الذي تلتقي فيه الملحمة مع عملية الخلق في أديان عديدة، "فانكيدو" طينة: ماء وتراب نفخت فيها الآلهة "الحياة":

غسلت "أورو" يديها وأخذت قبضة من طين
ورمتها في البرية
وفي البرية خلقت "أنكيدو" الصنديد..

و"انكيدو" رمز الخلاص لأهل "أوروك"، يغر أنه يسقط باعتباره هو الآخر. كائناً نسبياً. صنيعة. كائن مطلق. في غوى الحياة (البغى المومس):

فاسفرت البغي عن نهديها وكشفت عن عورتها
فانجذب إليها وتعلق بها
.. ذعر "أنكيدو" ووهنت قواه
خذلته ركبتاه..

ويشير "الخبز. والشراب". على أنهما رمزان يدلان على الحضارة، وأن "لبن الحيوان" رمزه لعودة إلى الطبيعة إلى الحياة الأولى، ويعيش "أنكيدو" في لجة الصراع

بين "الخبز.." الحضارة وتعقيداتها و"اللبن" الطبيعة ببساطتها، ويسقط "أنكيدو" بفعل تأثير . وأغواء مظاهر الحضارة (الخبز . الشراب . البغي المومس):

علام تلعن البغي يا أنكيدو؟
تلك التي علمتك كيف يؤكل الخبز..
وسقتك خمراً..

وان "خمبابا" رمز، أو أن استطعت قفل مستودع استقرت فيه شرور العالم وبلاء ابتلت به الخليقة وأن قتله يمثل خطورة تقرب قاتله مرتبة في سلم الصعود إلى الخلود:

.. أما "خمبابا" فزئيره عباب الطوفان
.. تنبعث من فيه شواظ النيران ونفسه الموت

وتبقى صاحبة الحانة البغي، الصياد، الرجل العقرب الملامح، رموزاً تدل على الحياة بكل ما تحمله من "هموم" و"معاناة" من "افراح" و"احزان" حيث أنهم مجموعة من "مختبرات" الحياة تدوّر فيها تجارب الأنسانية التي تتميز بافعالها المحدودة:

أما انت يا كلكامش فليكن كرشك مملوءاً على
الدوام
وكن فرحاً مبتهجاً مساء
واقم الافراح في كل يوم من أيامك
وارقص والعب مساء نهار
.. وحلل الصغير الذي يمسك بيدك
وافرح الزوجة التي بين أحضانك
.. هذا هو نصيب البشرية
ويبقى "خمبابا":
.. سمع "خمبابا" الصوت
فغضب وهاج وزمجر صائحاً: من الداخل المتطفل
الذي كدر صفو الغابة..
وأشجار الأرز:
سأمد يدي وأقطع أشجار الأرز

وليكن لي أسماً خالداً.
و"عشتار" الجليلة:
ماذا علي أن أعطى لو أخذتك زوجة
.. أي خير سأناله..
أنت أما أنت ألا الموقد الذي تخمد ناره في البرد
أنت كالباب الخلفي لا يحفظ من ريح ولا
عاصفة.
و" الثور السماوي":
.. طارد "انكيدو" ثور السماء ليمسك به
.. وكلكامش. مثل قصاب ماهر. طعن الثور السماوي طعنة قاتلة.
و"صاحبة الحانة":
ما الذي انكرت فيّ.. حتى أوصدت بابك
.. واحكمت غلقه..
لأحطمن بابك وأكسر المدخل.
والملاّح "أور . شنابي":
.. لأنك حكمت صور الحجر..
وإذا تحطمت.. فلا يمكننا العبور.
و"اوتونابشتم":
أجل. في مضجعي يقيم الموت
حيثما... أضع قدمي يريض الموت
و"النبات": يوجد نبات مثل عشب ينبت في المياه
.. فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت
الحياة (الجديدة).
و"الحية":
فشمت الحية شذى (نفس) النبات

فتسللت واختطفت النبات
ثم نزعت عنها غلاف جلدها

تبقى رموزاً تدل على معانٍ يسوقها الانسان، أو وسائل يستخدمها ليحدد بها جدوى الحياة، ويلتمس فيها هدفية العالم، ونهاية المطاف في التجربة الانسانية، ومدى جدية عمله، ومبرر وجوده في هذه التجربة: التي أدرك أنها "وجود مؤقت"، أو "رحلة موت" بين موتين، رحلة من الموت. قبل خلق "جلجامش" ورحلة "خمبابا" والثور السماوي، وموت "أنكيدو: ونشدان الخلود الذي انتهى إلى عدمية لا تبر أو تفسر سبب "وجوده".

وتظل الألهة "شمش":

انني ذاهب يا شمش وإليك أرفع يدي بالدعاء
ارجعني سالماً إلى ميناء "اوروك"
عسى أن تنال روحي الخير والبركة.

و"أَدَدُ":

.. بلغت رعود الاله "أدد" عنان السماء
فأحالت كل نور إلى ظلمة
وتحطمت الأرض الفسيحة كما تتحطم الجرة..

و"اورو":

يا "اورو" انت التي خلقتِ هذا الرجل
فاخلقي الآن غريماً له يضارعه في قوة اللب والعزم
وليكونا في صراع مستديم لتنال "اوروك" السلام والراحة.

و"آنو":

.. حتى الالهة ذعروا من عباب الطوفان
فهربوا وعرجوا إلى السماء
"آنوا" لقد استكانت الآلهة. وربضوا كالكلاب خارج الجدار.

و"الليل" و"ايا":

(رأيت) أن (آنو) و(إنليل) و(ايا) وشمش السماوي

قد اجتمعوا يتشاورون وقال آنو لأنليل:
لأنهما قتلا الثورة السماوي وقتلا "خمبابا".

وتظل رموزاً تدل على الظروف، التي تؤثر على الانسان "كلكامش" "انكيدو" "أهل اوروك"، ويبقى الانسان في تصور هذه الآلهة - كمية مهملة - تلملم شتاتها متى شاءت.. تفرزها وتفرقها متى رغبت دون مبرر مقنع، ويظل وجود هذه الآلهة غير مبرر أو تفسير، والتفسير الوحيد الذي نراه ونقترحه، إن هذه الألهة هي مخلوقات من صنع "تفكير" الانسان، فهي تتصارع وتتناسل، تحب وتبغض يحتدم بينها النقاش مع أبناء جلدته.. وتبقى هذه الالهة نواميس مفروضة تصورها وفرضها الانسان على الطبيعة وعلى الحياة، وعلى شؤونه وقد انتهى من ذلك إلى تقرير "جبرية" و"حتمية" أفعال هذه الآلهة النواميس باعتبارها "قوانين" لا يمكن الخروج عليها بأي حال من الأحوال.



كلكامش ــ جدارية من القصر الملكي الآشوري في دور شروكين (خور سيباط) القرن الثامن ق.م.

أضواء على ملحمة كلكامش

يصح أن نسمي (ملحمة كلكامش) بأوديسة العراق القديم ويضعها الباحثون ومؤرخو الأدب المحدثون بين شوامخ الأدب العالمي.

ان ملحمة كلكامش أقدم نوع من أدب الملاحم البطولي في تاريخ جميع الحضارات، وإلى هذا فهي أطول وأكمل ملحمة عرفتها حضارات الشرق الأدنى القديم، وليس ما يقرن بها أو يضاهيها من آداب الحضارات القديمة قبل اليونان.

ومع أن ملحمة كلكامش قد دونت قبل ٤٠٠٠ عام، وترجع ازمان حوادثها إلى حقب أخرى أبعد، فانها مثل الآداب العالمية الشهيرة، ما تزال خالدة وذات جاذبية انسانية عامة في جميع الأزمان والأمكنة، لأن القضايا التي عالجتها لا تزال تشغل بال الانسان وتفكيره وتؤثر في حياته الفكرية والعاطفية مما جعل مواقفها وحوادثها مثيرة للغاية.

إن هذه الملحمة البطولية الخالدة عالجت قضايا انسانية عامة، كمسألة الحياة والموت، وما بعد الموت، والخلود، وصورت تصويراً بارعا ذلك الصراع الأزلي بين الموت والزوال المقدرين وبين ارادة الانسان المغلوبة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء، فهي بذلك تمثل التراجيديا الانسانية الأزلية المتكررة.

لقد شغلت الملحمة بفكرة أو موضوع أساسي هو البرهان باسلوب مؤثر على حتمية الموت حتى بالنسبة إلى بطل مثل "كلكامش" ثلثاه من مادة الالهة الخالدة وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية، لأن الآلهة، كما جاء في الملحمة "قد استأثرت بالحياة وقدرت الموت من نصيب البشرية)، ولكن أليست هذه البديهيات لدى جميع البشر؟ أليست حقيقة الموت البديهية لا تزال تتكرر ليل نهار في حياة الانسان منذ أن وجد على هذا الكوكب قبل نحو مليون عام؟ إذن فما وجه الجدة والأصالة في

عرض مسألة الموت والحياة والبرهنة على حتمية الموت في ملحمة كلكامش؟

الواقع أن هذه الظاهرة المتكررة المعادة رغم كونها تبدو من الأمور المسلم بها والبديهيات لدى العقل الواعي والتفكير المنطقي والواقعي إلاّ أنها لا تزال لغزاً محيراً بالنسبة لأحاسيس الفرد ورغباته وغرائزه الحياتية، تأخذ بلب الفرد، وهي موضع حيرة في قراره كل نفس بشرية، وتكون شغل الانسان الشاغل وهو على أبواب الشيخوخة.. انها تتمثل على هيئة صراع بين ارادة الانسان بتمسكها بالحياة وبين تلك الحقبة البديهية بالنسبة للعقل والمنطق، وفوق هذا فان الملحمة تسمو على مجرد البرهنة على هذه الحقيقة البديهية، فهي تتناول مسألة أخلاقية كبرى شغلت عقل الانسان منذ أقدم الحقب والعهود فإذا كان الموت محتماً وإذا تعذر على الانسان نوال الحياة الخالدة سواء كان بالتغلب على الموت أو بوجود حياة أخرى بعد الموت. وهي فكرة لم تكن واضحة لدى العراقيين القدماء. فما ينبغي على الفرد فعله في هذه الحياة؟ أيرفض هذه الحياة ويهرب منها ويطلق هذا العالم ويفنى في "النرفانا"؟ أم يسلك سبيل اللذة والتنعم في هذه الحياة كما جاء على لسان صاحبة الحانة؟ أم يتقبل تحدي قانون الحياة ويذعن لما ليس منه بد فيضبط النفس ويقوم بتلك الأعمال التي تخلده بعد حياته كما فعل بطل الرواية كلكامش بعد رجوعه يائساً من مغامراته في سبيل الحصول على الخلود.؟

إن هذه القضايا الكبرى تؤلف فكرة الملحمة الأساسية، قد وضعت لها الحلول المنسجمة مع أنماط العقائد الدينية والظروف الاجتماعية وقانون الصراع القائم في ذلك المجتمع قبل أربعة آلاف عام، وذلك بالاقبال على هذه الحياة واستغلالها إلى أقصى حدود الاستغلال الفردي واتيان الأعمال التي تخلد الفرد، ولسان حالهم يقول "والذكر للانسان عمر ثانٍ"...

هذا ولم ينفرد سكان العراق القديم باهتمامهم بمسألة الموت والحياة تلك بل تناولتها آداب الأمم والأقوام في مختلف الحقب التاريخية، فنجدها متغلغلة في مآثر اليونان الأدبية، وفي الآداب العربية قصص طريفة عن أخبار المعمرين وأخبار عن كثير من الأبطال الذين ركبوا الأخطار وخاضوا المغامرات لحل مشكلة الخلود والبقاء.

وعلاوة على ذلك فإن الملحمة على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية في تصويرها لنا تصويراً مؤثراً جوانب مهمة من حضارة وادي الرافدين، فهي للمهتمين والدارسين لتلك الحضارة منجم زاخر يستقى منه فهم أوجه ومقومات أساسية لأحوال العراق القديم قبل أربعة آلاف عام فيقف على عقائد القوم الدينية وآرائهم وأفكارهم في الحياة والكون وأحوالهم الأجتماعية والجوانب المثيرة من حياتهم

العاطفية والعقلية وعلاقاتهم الاجتماعية وتركيب أقدم مجتمع متحضر في تاريخ العمران والتمدن البشري، كما يجد صورة رائعة عن البداوة المتاخمة لحضارة وادي الرافدين وكيفية تدرجها إلى طور الحضارة، وفضائل وايجابيات هذه الحضارة وسلبياتها، ونعني بهذه الصورة ما هو موجود في الملحمة في سيرة بطل الملحمة الثاني وهو "أنكيدو" صاحب كلكامش.

إن أفضل ما يكشف لنا عن أثر ملحمة كلكامش في عقول أبناء الحضارات القديمة ذلك المدى الواسع الذي انتشرت فيه بالعالم القديم، فالبنسبة لسكان وادي الرافدين الأقدمين لم يقتصر تداولها على سكان القسم الجنوبي والأوسط من العراق، وهو القسم الذي عرف كما ذكرنا باسم بلاد سومر وأكد، بل تسربت أيضاً إلى القسم الشمالي - بلاد نينوى، فقد وجدت نسخ كثيرة لها في حواضر العراق القديم من عهد ازدهار الحضارة البابلية في العهد البابلي القديم (الألف الثاني ق.م)...

أما بالنسبة لبلاد آشور (نينوى) فإن آخر نشرة لها كاملة وصلت إلينا وجدت نصوصها في خزانة مكتبة نينوى الشهيرة التي أسسها العاهل الفنان آشور بانيبال.

وبالنسبة لمراكز الحضارات القديمة الأخرى عثر الباحثين على نسخ من أجزاء ملحمة كلكامش في أقاليم نائية خارج الوطن العربي مثل الأناضول، موطن الحضارة الحثية، وقد دون بعض هذه النصوص باللغة البابلية القديمة، كما وجدت أيضاً ترجمات إلى اللغتين الحثية والحورية.

هذا عن الانتشار الواسع النطاق للملحمة عن هذا الطريق المباشر، أي الاستنساخ والترجمات المختلفة التي وجدت في مراكز الحضارات القديمة ولكن هذه الملحمة العتيدة قد أثرت كذلك في آداب الأمم القديمة وقصصها وملامحها بطرق غير مباشرة، أي بالتأثر بأحداث الملحمة وقصصها، وفي مقدمة ذلك حادثة الطوفان الشهيرة التي شغلت من ملحمة كلكامش فصلاً مهما بارزاً.

والبطل كلكامش نفسه انتقل اسمه إلى معظم آداب الأمم القديمة أو أن أعماله نسبت إلى أبطال الأمم الأخرى مثل هرقل والاسكندر والبطل "أوديسوس" في الأوديسة اليونانية الشهيرة...

الحريات بدأت في الوطن العربي

تميز الوطن العربي منذ أقدم العصور بدور ريادي هام تجلى في جملة الانجازات الحضارية التي شكلت لبنة أساسية في تطور الحضارة الانسانية.

فبعد انتقال الانسان القديم في مشرق الوطن العربي من عوالم العصور الحجرية القديمة، تمكن من الاستقرار، وقام ببناء القرى والمدن الأولى، وبذلك قام المجتمع المتحضر في أعقاب تلك الفترات الموغلة في القدم، وتجلت هذه التطورات في المراحل الاخيرة لعصور ما قبل التاريخ، ومرحلة بدء الكتابة والاداب (البرتولتريت)، ومن ثم مراحل العصور التاريخية.

لقد أقام الانسان الرافدي المدن المتحضرة والدول القوية، وقام بتهيئة المستلزمات الكفيلة بدعم وتقوية وتواصل هذا المسار، فعمل على بناء المؤسسات الحكومية والهيئات العامة لتوطيد دعائم هذا المجتمع الجديد، وقام بانشاء القوات المسلحة للحفاظ على الانجازات التي حققها ولصد أطماع القوى المعادية.

لقد تعمقت القيم والمفاهيم الديمقراطية في المجتمع، فكان النواب يدون آراءهم فيما يتعلق بشؤون الدولة والمجتمع، وفي مسألة اعلان الحرب على الدول الاخرى وفي ابرام المعاهدات والاتفاقيات الثنائية، وكانت تقر من قبلهم، وبذلك فإن سكان بلاد الرافدين القدماء سبقوا الاغريق في مجال تطبيق الحريات بأكثر من ألفي عام، فلم يشأ مثلا الملك جلجامش اعلان الحرب على كيش إلا بعد طرح الموضوع في مجلسي الشيوخ والنواب.

وشهد العراق القديم قيام أسس ومقاييس وضعية، نظمت على أرضيتها علاقات الافراد في المجتمع بعضهم ببعض، فأوجدت قوانين وتشريعات وضعية شكلت نقطة ارتكاز لتسيير مجتمع الدولة.

لقد وضع (اورنمو) مؤسس سلالة أور الثالثة، قانون دولته خلال القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد، وهو أول قانون مكتشف لحد الآن في تاريخ البشرية.

وبعد قرن من الزمن فعل (بيلالاما)ملك أشنونة، الأمر ذاته، وحذا حذو هذا الأخير بعد نصف قرن، الملك (لبت عشتار) خامس ملوك سلالةإيسن.

وبعد هؤلاء أتى (حمورابي) سادس ملوك الدولة البابلية الأولى، بقوانينه الشاملة لجوانب المجتمعات القديمة، فكانت بحق تمثل تكاملا قانونيا متبلورا وناضجا، وقد وضع الحثيون والاشوريون قوانين خاصة بهم.



مشهد تفصيلي للجزء العلوي من مسلة قوانين حمورابي الملك السادس لسلالة بابل الأولى ويبدو حمورابي واقفا أمام اله الشمس والعدالة

ان قانون حمورابي كان قد ظهر قبل ظهور أقدم مجموعة من القوانين الاغريقية . المعروفة حتى الآن . كقوانين مدينة كورتين في كريت بأكثر من إثني عشر قرنا من الزمن، لقد عثر على هذه القوانين خلال عامي ١٨٨٤ـ١٨٨٥ م في موضع المدينة القديمة كورتين منقوشة على الواجهة الداخلية لأحد الأبنية، ويرقى تاريخ القسم الاعظم منها إلى القرنين السادس والخامس ق.م.

ولا ترتفع قوانين سبارطة القديمة إلى المستوى الرفيع الذي بلغته قوانين العراق القديم لا سيما وأن سبارطة لم تعرف عند نشأتها تدوين العرف واعلانه في ساحات عامةـ اي القوانين المدونةـ وليست القوانين السبارطية المعروفة باسم المقنن (ليوكورج) الذي لم يعرف في البداية إلا اسمه من صنع هذا المشرع حقا، وإنما وضعت على مر الفترات وصار منها ما نعرفه بالقوانين اليونانية السبارطية المدونة.

ولا نعرف حتى عن قوانين (دراكون) الصادرة في عام (٦٢١ ق.م) إلا النزر اليسير الذي وصلنا عن نسخة متأخرة من عامي (٤٠٩ـ٤٠٨ ق.م) وقد أجرى

بعض التعديل على هذه النسخة، فأضيفت إليها فقرة خاصة بالجريمة واقتباسات أخرى من القانون القديم، وبقيت هذه القوانين معمولاً بها في أثينا حتى القرن الثالث ق.م.

بينما لم ينس المشرعون في بلاد الرافدين قبل ذلك بقرون زمنية مختلفة، سرد حالات الاجرام وتثبيت العقوبات الخاصة بالمجرمين، ومن ناحية أخرى لم تكن جميع القوانين في مشرق الوطن العربي القديم تتسم بالقسوة والعقوبات الصارمة كما هو الحال في قوانين دراكون التي قال عنها ارسطو: "لقد اقتبس الكثير من قوانين دراكون حتى في ظل دستور دائم بالرغم من أن هذه القوانين لا تذكر إلا بالقسوة والعقوبات التي لا حد لها".

وليست القوانين الرومانية القديمة المعروفة باسم (الالواح الاثني عشر) والتي قننت في حدود عامي (٤٥١- ٤٥٠ ق.م) أو قوانين (مانكيان) في عهد القيصر تراجان (١١٥-١١٧ ق.م) أو قانون (هادريان) المكتوب على قاعدة نصب عثر عليه في تونس مكتوبا بالاحرف اللاتينية، بمرتبة قوانين العراق القديم.

لقد أصدر ملوك بلاد الرافدين قوانين منظمة واضحة المعالم والمؤشرات بحيث لم تدع مجالا لاجتهادات القضاة الشخصية، وعلى سبيل المثال، فإن قوانين ملك بابل حمورابي، منعت في إحدى موادها القاضي من التراجع عن حكم أصدره، وفرضت عليه في حالة اقدامه على ذلك عقوبة صارمة هي اقصاؤه من المحكمة أمام زملائه القضاة ورفع الحصانة القضائية عنه، وعلى النقيض من ذلك جاءت أكثر القوانين الاغريقية والرومانية مسهبة في جملها وتفتقد النظام والتنسيق اللذان تميز بهما القانون الرافدي القديم.

وإذا كانت هذه القوانين اليونانية والرومانية قد صدرت بصورة عامة في عدة لوائح معلنة ثُبت عليها العرف في عصور مختلفة، فإننا نرى قوانين الوطن العربي القديم وخاصة قانون حمورابي، قد وضعت دفعة واحدة، ولم يعمل بها في عهده لوحده بل عمل بها خلال عهود خلفائه، إذ نقل المشرعون اللاحقون محتويات كثير من موادها إلى قوانينهم، وقام بوضع قوانين الوطن العربي القديم وقوانين العراق القديم على وجه الخصوص. مستشارون مختصون في القصر، فجاءت معللة ومبوبة، علما بأن القوانين الاغريقية والرومانية في معظمها كانت على شكل أوامر ومراسيم وقرارات قيصرية.

لقد كانت أقوام المناطق العربية القديمة أسبق من الاغريق في بناء هيكل السلطة التنفيذية التي تمثلت وتجسدت في يد الملك والكتاب والوزراء ونوابهم، وفي يد

القوات المسلحة كالجيش والشرطة والحرس، وأحرزت تقدما واضحا كذلك على الأغريق والرومان في المراسلات الدبلوماسية وتنظيم البروتوكولات وعقد الاحلاف وابرام الاتفاقيات الثنائية ومعاهدات ومواثيق الصلح الدولية.

المادة السادسة من قانون حمورابي

وإذا كانت بعض القوانين الاغريقية قد حددت ملكية الافراد للاراضي، وكان القانون الروماني الصادر في عام ١١١ م قد نظم مسألة توزيع الاراضي الزراعية على المواطنين، فإن العاهل السومري (اوروكاجينا) كان قد فعل أمرا يشبه ذلك خلال القرن الخامس والعشرين ق.م، عندما قام بإعطاء الاراضي للمعابد والافراد.

ولم يسبق الاغريق والرومان الوطن العربي في تحديد الاسعار وتثبيت الاجور، فما تم ذلك من قوانين سواء في عهد (ديوكليتيان) في عام ٣٠١ فما بعده حتى القرن السادس الميلادي، لا يصل إلى نظيره من قوانين الشرق العربي القديم وقوانين العراق القديم تحديدا، لا سيما وأنها كانت معروفة قبل القوانين الرومانية بأكثر من ألفي سنة.

وقد اعترف (هيرودوت) نفسه أن الهلنستيين مدينون بالكثير للشرق القديم وخاصة لأرض بابل التي أخذوا عنها الكثير والعديد من الانجازات الحضارية الهامة.

إن ذلك ليدل دلالة قاطعة على مدى نضج وعمق وشمولية القوانين القديمة في الوطن العربي الموغلة في العراقة والقدم، والتي تعتبر بمثابة أساس ارتكزت عليه فيما بعد، ليست قوانين المنطقة فحسب، بل قوانين وتشريعات العالم المتحضر.

لمحات من تاريخ الحضارة الآشورية

في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد قامت.جماعات من العرب القدماء بهجرات متتالية منتظمة من الجزيرة العربية إلى الهلال العربي الخصيب على هيئة موجات متتالية، وقد لعبت الهجرات دورا رئيسيا في تغيير مجرى الكيان الحضاري وتطوره في العالم القديم.

ومن هذه الهجرات (الاكاديون . الكنعانيون . العموريون . الآشوريون . الآراميون . المصريون) وهؤلاء اتجهوا باتجاه العراق وسورية وفلسطين ولبنان ومصر وشمال أفريقيا، وكان نهر الفرات هدف الأقوام العربية القديمة التي اتجهت إلى العراق وسورية، أما من ناحية نهر دجلة فكان أول من قصدها من الأقوام العربية القديمة جماعات عبر نهر الفرات فتوغلت في المنطقة ما بين الرافدين دجلة والفرات، ثم استقرت في حدود الألف الرابع وأوائل الألف الثالث ق.م في ا لمنطقة الشمالية من العراق بين الموصل والشرقاط، وكانت هذه المنطقة تعرف باسم (سوبارتو) فأسست هذه الجماعات مدينة هناك صارت تعرف باسم (آشور) نسبة إلى الاله آشور، كما صارت الجماعات التي استقرت في هذه المنطقة تعرف بالآشوريين، وأخيرا صارت المنطقة بأسرها تعرف باسم (بلاد آشور) أو (بلاد نينوى) فيما بعد. نسبة إلى المدينة الآشورية الثالثة (نينوى) التي تقع شمال مدينة (آشور).

وفي منطقة آشور أقيمت امارة صغيرة مؤلفة من مدينة آشور وما حولها على نسق دويلات المدن في جنوبي العراق، وكانوا على اتصال مستمر مع هذه المدن التي أخذوا عنها فن النقش والعمارة والكتابة وإن زراعتهم تعتمد على الأرواء الديمي أي على هطول الأمطار.

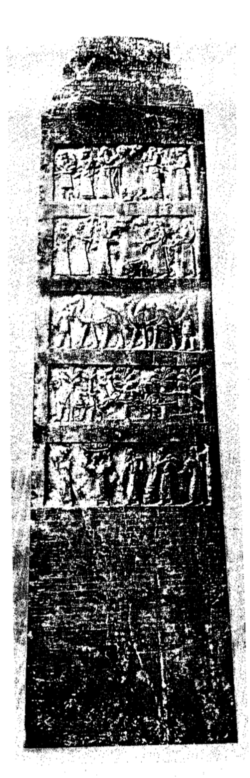
وكان الآشوريون يتكلمون فيما بينهم بلهجة من لهجات أقوام الجزيرة العربية

القديمة قريبة من اللهجة التي يتكلم بها الأكاديون وكتبوا لغتهم الآشورية بالخط المسماري الآسفيني.

لقد تطورت حياة الآشوريين فيما بعد واسسوا المدن الكبرى . إضافة إلى مدينة آشور . مثل النمرود ونينوى ودور شروكين، وأرسوا دعائم امبراطورية كبرى خضع لها الشرق القديم.

إن الدولة الآشورية (٤٠٠٠ ـ ٦١٢ ق.م) بنت نظامها على أساس حربي بالنظر لموقع بلاد آشور الذي يجعلها معرضة للهجمات من جميع أطرافها، وقد علّمت الحرب الدائمة مواطني آشور كيف يحمون حدودهم ويتحينون الفرص للاستقلال في مدنهم عن حكم الدول التي كانت فتوحاتها تخترق أراضيهم بين الحين والآخر.

لقد كان لدولة آشور جنود غير نظاميين ثم حل محلهم جيش منظم وهو القوة الرئيسية للدولة الآشورية، وتطورت هذه الدولة إلى تنظيم ثابت محكم لم تؤثر فيه المنافسات والمنازعات التي كانت سائدة بين الدويلات حتى صار في استطاعة مملكة آشور أن توجه كافة قواها الموحدة صوب القضاء على أعدائها الخارجيين، وساعد الآشوريين على ذلك أنهم كانوا قد بدأوا باستعمال الخيل والعجلات في جيشهم، ثم أصبحوا أعظم قوة حربية ضاربة شهدها التاريخ القديم، وكانت التجارة رائجة من بلادهم



مسلة الملك الاشوري شلمنصر الثالث ـ ارتفاع ٢,٠٢م ـ كالخ ـ النمرود.

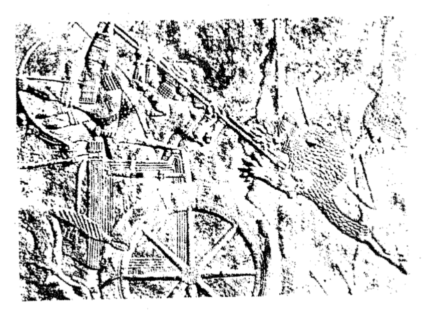
وإليها، فكانت قوافل التبادل التجاري تمتد إلى آسيا الصغرى وقد توثقت صلاتهم بالشعوب الأخرى فازدادوا قوة وثراء.

وقد دون الآشوريون أسماء ملوكهم وسني حكمهم ووجد عددا من قوائم الملوك هذه اشتهر منها قوائم مدينة دور شروكين التي دونت في عهد سرجون الثاني (شروكين) الذي حكم في المدة (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م) ابتداء من أقدم الملوك الآشوريين حتى زمن حكمه.



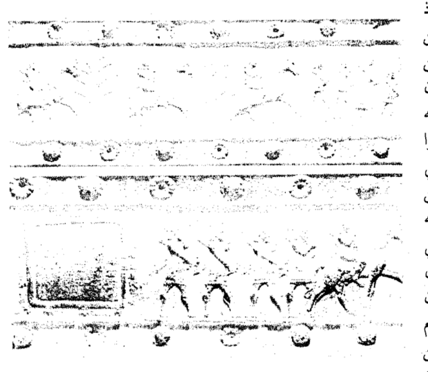
جدارية آشورية من خورسيباط (دور شروكين)

وحول المنجزات الحضارية الآشورية الأخرى إضافة إلى الجانب العسكري فقد قاموابصناعة الآلات المعدنية النحاسية وتوصلوا إلى استعمال البرونز في أثناء الألف الثاني ق.م بكثرة وبدأوا منذ ذلك الحين يصنعون اسلحتهم وذخائرهم وأدواتهم من هذا المزيج، ثم استعملوا بعد ذلك الحديد في



جدارية آشورية من قصر سرجون الثاني ـ خورسيباط (دور شروكين)

صناعة الأسلحة إذ تعلموا صناعته من الحثيين الذين سبقوهم في اتقان استخلاصه وصناعته حيث كانوا يستخرجونه في الشمال الشرقي من آسيا من مناجمه ونشروا استعماله في جميع بلاد الشرق الأدنى منذ القرن الثالث عشر ق.م وهذا ما مكنهم من التوسع في القرون التالية.



جدارية آشورية من قصر آشور بانيبال في نينوى

وقد ساعدتهم فتوحاتهم على اتساع نطاق تجارتهم فحذق تجارهم أساليب التجارة وعاش كثير من التجار في محطات ومحلات أنشأوها في عدة أماكن في جنوب شرقي آسيا الصغرى.

واهتم الآشوريونْ بالآداب والفنون الجميلة، فنظموا المقطوعات الأدبية الرائعة وأتقنوا فن النحت والتصوير، وأنفتحوا على الثقافة البابلية، ولا أدل على اهتمامهم بالناحية الثقافية والأدبية مما تركوه من تراث حضاري في خزائن الكتب- ألواح الطين- في مكتبة نينوى الملكية التي أسسها العاهل الفنان آشور بانيبال (٦٦٩- ٦٢٩ ق.م).

وصفوة القول إن الآشوريين تركوا لمن خلفهم من أقوام جاءت بعدهم تراثا حضاريا مجيدا إضافة إلى كونهم يتصفون بالشدة والصلابة والعنفوان في الحروب.

نينوى

مثلما تحدثنا في المحور السابق فإن الآشوريين تركزوا في شمالي بلاد الرافدين بين الموصل والشرقاط في حدود الألف الرابع قبل الميلاد، وكانت هذه المنطقة تعرف من قبل باسم سوبارتو Suparto فقامت هذه الجماعات بتأسيس مدينة آشور نسبة إلى الاله آشور ثم صارت تعرف باسم بلاد آشور Assyr ثم بلاد نينوى Niniveh فيما بعد نسبة إلى العاصمة الآشورية الثالثة.

كان الآشوريون يتحينون الفرص للاستقلال في مدنهم: آشور . النمرود . نينوى . دور شروكين، عن حكم بعض امرائهم في العهد الكوتي، وخضعوا ثانية للملوك سلالة أور لحكم الأكاديين، ثم استقل بعض امرائهم في العهد الكوتي، وخضعوا ثانية للملوك سلالة أور الثالثة، ثم ظهر بينهم ملوك أقوياء استقلت على أثر ذلك دولتهم في ذلك العهد، وبعد ظهور حمورابي الملك السادس لسلالة بابل الأولى قام بالقضاء عليها، ثم تجدد استقلال بلاد آشور في عهد الملك تجلات بليسر الأول، ثم قويت الدولة الاشورية وضمت بابل إليها وأرجاء أخرى أيضا.

ونظرا لكون المرحلة الزمنية للدولة الآشورية طويلة ومتعددة الاحداث فقد ارتأى علماء التاريخ القديم والاثار تقسيمها إلى ثلاث مراحل وهي: العصر الاشوري القديم - العصر الاشوري الوسيط ـ العصر الاشوري الحديث.

يبدأ العصر الآشوري القديم منذ فجر التاريخ الاشوري وحتى نهاية حكم سلالة بابل الأولى في الفترة (٤٠٠٠ ـ ١٥٩٤ ق.م)، ثم خضعوا لحكم سلالة أور الثالثة، وبعد ذلك أخذ استقلال آشور يتصاعد حتى بلغ ذروته في عهد (ايلوشلوما) الذي كان معاصرا لمؤسس سلالة بابل الأولى، والذي حكم في حدود (١٨٩٤ ـ ١٨٨١ ق.م)، وفي عهد (شمشي أداد) في الفترة (١٨١٥ ـ ١٧٨٢ ق.م) تم فتح العديد من

المدن في وسط العراق، وفي أواخر حكمه ظهر حمورابي فقام بالقضاء على استقلال آشور.

أما العهد الاشوري الوسيط فيبدأ منذ نهاية مملكة بابل الأولى في حدود عام ١٥٩٤ ق.م ويستمر خلال حكم الكاشيين وينتهي في حدود عام ١٩٩ ق.م، وبقيت بلاد آشور في هذه الفترة تحت حكم البابليين إلى حين سقوط بابل على أيدي الحثيين، ومن أشهر ملوك العهد الاشوري الوسيط (آشور أوبلط الأول) الذي حكم في الفترة (١٤٦٥ـ ١٣٣٠ ق.م) وقد قام بالقضاء على الدولة الميتانية وضم ممتلكاتها إلى الدولة الآشورية وكان على صلات جيدة مع الحيثيين والفرعون المصري أخناتون.

ومن ملوك هذا العصر (شلمنصر الأول) الذي حكم في الفترة (١٢٧٤ ـ ١٢٤٥ ق.م) واشتهر ببناء مدينة النمرود "كالخ" كعاصمة جديدة بعد مدينة آشور ثم جاء بعده العاهل (توكلتي نينورتا) الذ قام بمحاربة الكاشيين وفتح بابل، ومن الملوك الأقوياء في هذا العهد (تجلات بليسر الأول) الذي حكم في الفترة (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق.م) وقام بالاستيلاء على نائري وأرمينيا ووصل إلى البحر الأسود شمالا ثم اتجه غربا نحو سواحل آسيا الصغرى وفينيقيا ثم استولى على بابل سنة ١١٠٠ ق.م فتم له حكم الشرق الأوسط.

أما العهد الاشوري الحديث فيستمر في الفترة ٩١٢ـ ٦١٢ ق.م وقد جاء هذا العهد بعد فترة انتكاس مؤقتة شهدتها الدولة الاشورية في اواخر العهد الآشوري الوسيط، ومن أشهر ملوك الامبراطورية الاشورية الأولى الملك اداد نيراري الثاني الذي حكم في الفترة ٩١٢ـ ٨٩١ ق.م وقد اهتم بتقوية الجيش واخضع بعض الاقاليم المجاورة ثم تحالف مع بابل، ثم تبعه في الحكم ابنه (اشور ناصر بال الثاني) وحكم في الفترة ٨٨٤ ـ ٨٥٨ ق.م وقد أوغل في فتوحاته في الجبال الشمالية والشرقية ووطد الأمن وحارب الاراميين وفتح دمشق، وقد وجد لهذا الملك في مدينة النمرود مسلة كبيرة نقشت بكتابات عن أهم أعماله وهي اليوم من معروضات متحف الموصل.

ومن ملوك هذا العهد شملنصر الثالث الذي ورث عرش أبيه وحكم في الفتر ٨٥٨ـ ٨٢٤ ق.م، وقد حارب هذا الملك في سوريا وفلسطين وقضى على التحالف الارامي، وقد تولى الحكم بعد ابنه (أداد نيراري الثالث) من زوجته سمير أميس (شيمورإمات) وقد ذكرته المصادر الاغريقية باسم (نينوس) وقد حكم في لفترة ٨١١ ـ ٧٨١ ق.م، وقد تولى الحكم من بعده ابنه شلمنصر الرابع ومن ثم آشور دان الثاني

، ثم أخذت الاحوال تـتـدهـور فـي الأمبراطورية الآشورية فقد حدثت في النمرود حركة تمرد تولى بعدها تجلات بليسر الثالث مقاليد الحكم فأعاد للدولة سـابـق مـجـدهـا وأنقذها من الضياع وكان ذلك بداية لعهد الامبرطورية الاشورية الثانية.

ومن أشهر ملوك هذا العهد شلمنصر الخامس الذي اتخذ



المجنح الاسطوري في نينوى



سمير أميس (شيمورامات) - نينوى

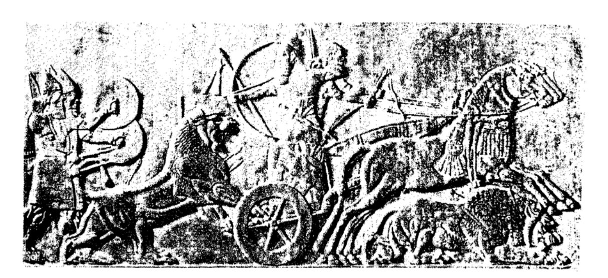
لقب ملك آشور وبابل، وسرجون الثاني الذي حكم في الفترة ٧٢٢- ٧٠٥ ق.م وقام ببناء عاصمة جديدة وهي دور شروكين منتقلا من نينوى، ثم تولى الحكم ابنه سنحاريب الذي لم يشأ الاقامة في الابنيةالتي أنشأها والده في دور شروكين عائدا إلى العاصمة نينوى.

وعندما ثارت بابل عليه جهز حملة حربية عليها فطرد مردوخ بلادان ونصب عليها مواليا لحكمه، ثم أخضع دويلات المدن الفينيقية وقام بشن حملة أخرى لتأديب بابل وفتحها وعين أحد أولاده واليا عليها، وبعد اغتيال سنحاريب استلم حكم بلاد نينوى ابنه (أسرحدون) في الفترة ٦٨١ - ٦٦٩ ق.م) وسار على سياسة المصالحة مع بابل وعين أحد أولاده (شمش شم اوكن) واليا عليها وحارب في الجنوب فقضى على حركة مردوخ بلادان، وفي عام ٦٧٦ ق.م توجه أسر حدون نحو سورية وساحلها وقام بفتح كافة المدن الداخلية والساحلية وأخضعها لسيادة نينوى، ثم قام بغزو مصر وحارب فرعونها طاهرقا عام ٦٧٣ ق.م، ثم غزاها مرة أخرى ففتح دلتا النيل ودخل (ممفيس) عاصمة مصر السفلى.

وقد عثرت السلطات الاثرية في تل النبي يونس في الموصل على بعض الآثار المصرية، وبينها كسر تماثيل كبيرة من حجر الديوريت الأسود للفرعون المصري طاهرقا، وعند رجوع أسرحدون من حملة مصر نقش صورته في الصخور الجبلية اللبنانية قرب بثروتا (بيروت).

ثم حكم بعده ابنه العاهل الفنان آشور بانيبال في الفترة ٦٦٩ - ٦٢٩ ق.م وكان مولعا بالاداب والفنون الجميلة ويعود إليه الفضل في تأسيس مكتبة نينوى التي تعتبر أول مكتبة في تاريخ البشرية، ان آشور بانيبال يمثل عملية انتقاء السلطة للنصوص فقد ضمت هذه المكتبة المنسقة معظم نصوص التراث القديم الذي جمع من كافة أرجاء بلاد الرافدين.

وعلى الصعيد الحربي فقد حارب آشور بانيبال الامراء المصريين وفتح عاصمة مصر السفلى (ممفيس) ثم لاحق الفرعون طاهرقا إلى مصر العليا ودحره وفتح (طيبة)، أما في بابل فقد ذكرنا سابقا أن أسرحدون عين ابنه (شمش شم اوكن) حاكما على بابل، فلما تسلم أخيه (آشور بانيبال) الحكم في نينوى، قام بالتعاون مع أخيه في البدء، ولكنه تمرد ضده فيما بعد. فجرد آشور بانيبال حملة حربية واسعة النطاق ففتح بابل عنوة عام ٦٤٨ ق.م ودمرها وأحرق أخيه وسط لهيب قصره، ثم هاجم الآراميين في سورية وهاجم الفرس المجوس وفتح مدينة الشوش (سوسة) كبرى مدن عيلام (عربستان).



من معروضات متحف الموصل

وتتركز اليوم آثار نينوى في موضعين أساسيين هما (تل النبي يونس) و(تل قوينجق) المطل على نهر الخوصر الذي يصب في نهر دجلة،وتضم مدينة نينوى الاثرية عدة أبواب رئيسية هي: باب آشور ـ باب نركال ـ باب الشمس (شمش) ـ باب المسقى، إضافة إلى السور الأثري العملاق المحيط بالمدينة القديمة، وتبرز قصور الملوك الاشوريين في عدة مواضع مع عدد هائل من التماثيل والاوابد الاثرية.

*

عملية إنتقاء السلطة للنصوص

شهد تاريخ الوطن العربي القديم قيام نشاطات وفعاليات في مجالات السياسة والأدب والفن والتاريخ والقانون والاقتصاد باعتبار أن هذه الأنماط تمثل قمة الوعي الاجتماعي عبر حقب التاريخ، فبعد اكتشاف الكتابة في منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد تجلت عدة ممارسات ابداعية شهدها مشرق وطننا العربي الكبير، ومن أبرز صروح الثقافة والابداع في التاريخ القديم مكتبة نينوى التي تعتبر أول مكتبة في تاريخ البشرية، والتي أسسها العاهل الفنان آشور بانيبال (٦٩٩ ـ ٩٢٩ ق.م).

إن مكتبة نينوى التي أسست تلبية لإرادة رسمية، تمثل عملية إنتقاء السلطة للنصوص، حيث ضمت المكتبة غالبية التراث الكتابي السومري والأكادي والبابلي والعموري والآشوري.

في عام ١٨٥٠م استؤنفت عمليات التنقيب الآثاري في (تل قوينجق) في الموصل، فتم اكتشاف غرفتين صغيرتين من بقايا قصر ضخم، وكانت أرضية الغرفتين مليئة بكسر مبعثرة من أختام طينية مفخورة تبدو وكأنها من الآجر منقوشة بالكتابات، وقد تراكمت على الأرض بارتفاع قدم واحد أو أكثر، وكانت بعض القطع سالمة من الكسر في حين أن معظم القطع الأخرى قد أصبحت شظايا صغيرة، ولعل ذلك كان ناجما عن انهيار القسم العلوي من البناية، وكانت هذه القطع بأحجام مختلفة وقد نقشت عليها كتابات مسمارية واضحة الحدود والمعالم، وكانت بعض هذه الكتابات دقيقة جدا بحيث يصعب تمييزها دون استخدام عدسات مكبرة، وقد تم جمع كميات كبيرة من الألواح الكتابية.

إن جملة القطع الطينية المفخورة تعود إلى المكتبة التي شيدها الملك المعروف باسم ـ ابن أسرحدون ـ حيث لم يكن آشور بانيبال معروفا آنذاك، وفي الفترة (١٨٢٢

. ١٨٥٤م) كان أحد المنقبين يقوم بأعمال التنقيب في منطقة نينوى الأثرية، وتسنى له أن يقوم بزيارة خاطفة لمنطقة التنقيبات في تل قوينجق في نينوى، حيث تم اكتشاف قطع الآثار الرائعة لتماثيل الأسود التي اصطادها آشور بانيبال، إضافة إلى اكتشاف مكتبة الملك الآشوري (مكتبة نينوى الملكية) والتي يعتبر اكتشافها حدثا ثقافيا هائلا لأن الألواح التي اكتشفت تعتبر المصدر الأساسي في دراسات العلوم الآشورية (الآشوريات)، وقد تمت هذه الاكتشافات في نفس الوقت الذي تمكن فيه علماء الآثار من حل رموز الكتابة القديمة التي تضمنتها هذه الالواح والمعروفة بالكتابة المسمارية حيث أن الخطوط المستعملة في هذه الكتابة تشبه المسامير إلى حد كبير.

لقد كانت هذه العلامات تكتب على ألواح من الطين الرطب بأقلام خاصة من القصب أو بقطعة من الخشب ذات حافة مسطحة أو بقطعة من عظم أو معدن ذي حافة مسطحة، وكان الكاتب يمسك القلم بيده اليمنى ويمسك لوح الطين بكفه الأيسر، ومن الواضح أن الكتابة بهذه الطريقة لا يمكن أن تكون إلا على شكل خطوط مسمارية.

أما لغة الكتابة فكانت البابلية أو أية لغة قديمة أخرى تتصل بهذه اللغات، وقد اتخذ الآشوريون القدامى اللّغة الأكادية في كتاباتهم وإن الكتابات التي احتوتها مكتبة آشور بانيبال في نينوى، درست بدقة واهتمام ونشرت في كتب ودوريات ومجلدات ضخمة.

ومن أبرز ما اكتشف من كتابات في نينوى، اللوح الثاني عشر من مجموع اثني عشر لوحا تضمنت الأحداث الميثولوجية التي قام بها (كلكامش)، وبذلك أصبحت قصة الطوفان كاملة غير منقوصة، وهذا اللوح يتضمن الفعاليات التي قام بها كلكامش لزيارة أحد أسلافه وهو شيخ طاعن بالسن كان قد تلقى تحذيرا من احد الالهة مفاده أن بعض الالهة الآخرين قد عقدوا العزم على إفناء البشرية من خلال فيضان مدمر، واسم هذا الشيخ الذي ورد من خلال القصة هو (اوتونابشتم) وليس (نوح) الذي ورد ذكره في قصة ما يسمى بالتوراة التي كتبها أحبار العدو، وقد تمكن (اونابشتم) من بناء سفينة ركب فيها مع أفراد عائلته وتسنى لهم النجاة من الغرق.

إن القصة التي دونت على هذا اللوح الذي عثر عليه في مكتبة آشور بانيبال في نينوى، هي المصدر الوحيد الذي اعتمدت عليه التوراة في إيرادها قصة الطوفان التي تضمها سفر التكوين حيث اقتبسها أحبار العدو وسجلوها في توراتهم بما ينسجم مع توجهاتهم العنصرية والعدوانية ضد أمتنا العربية وشعبنا العربي الفلسطيني.

إن مكتبة الملك الآشوري أشور بانيبال قد جمعت موادها من مصادر شتى، وقد كان آشور بانيبال مولعا جد بالدراسة والبحث العلمي والكتابة والمطالعة والفن، وكان يستمتع بالاصغاء إلى الكتب التي تقرأ عليه أو التي يقرأها هو بنفسه.

لقد دون على كل لوح من ألواح موجودات مكتبة نينوى عبارة "ممتلكات آشور بانيبال ملك الجيوش، ملك آشور" كما ذيلت ألواح أخرى بعبارة "قصر الملك آشور بانيبال، ملك العالم، ملك آشور، المتوكل على (آشور) و(بعلبت) الذي أعاره (نبو) (ملك الحكم لله) أذنا صاغية، والذي ليس بين الملوك من أسلافه من استطاع أن يتعلم حكمة الاله (نبو) التي دونت بالمرقم على هذا اللوح، لقد دونت على هذه الالواح ما شئت قراءته وتعلمه ووضعتها في قصري، وكل من يأخذها من مكانها أو يزيل ما عليها من كتابة أو يضع اسمه بمحل أسمي، عسى أن تلعنه الالهة، وتستأصل ذريته من على وجه الأرض".

ومن جملة الكتب التي احتوتها مكتبة نينوى، طرائف ومنوعات أدبية رائعة من مختلف الاداب الاشورية والبابلية ومنها (ملحمة كلكامش) التي تعتبر أولى الطرائف الفريدة في جميع الاداب وأصناف الميثولوجيا، وكذلك (ملحمة الخليقة) التي لا تقل روعة عنها، والتي تحدثنا عن أنباء الصراع المرير الذي دار بين (تيامات) التنين الأنثى و(مردوخ) البطل الاله الذي عبده الاشوريين في ذات الاله (آشور)، وهي مسرحية آلام كانت تمثل في اليوم الأول من السنة الاشورية الجديدة.

عباقرة نينوى

وهناك (ملحمة الالهة عشتار) الآلهة الحامية لمدينة نينوى، التي تتضمن قصة .

هبوطها إلى العالم الأسفل بحثا عن حبيبها (تموز) الذي قتل إثر تعرضه لهجوم أحد ذكور الخنازير، وتعتبر هذه الملحمة من ضمن الاساطير التي وضعت لتفسير الظواهر الطبيعية، حيث فسر إنتصار (عشتار) بعودة ضوء النهار، كما فسرت عودة (تموز) بعودة الربيع بعد ليل الشتاء الطويل، وثمة قصص ميثولوجية أخرى تدور حول (أتانا) التي حملت إلى السماء على ظهر نسر ثم سقطت بعد أن أعياه الطيران.

ومعظم بقية ألواح المكتبة تضمنت ـ على كل حال ـ مواضيع أقل متعة، فثمة قوائم مطولة بأسماء النباتات والظواهر الفلكية والجبال والانهار والاشجار وعلامات الرياضيات وأصول قواعد اللغة وقائمة بالمترادفات ووصفات الأطباء.

ولما كانت هذه المكتبة تعتبر أيضا ديوانا للقيود الرسمية فقد احتوت على عدد من الرسائل الموجهة من الملك وإليه إلى الحكام والقادة العسكريين وكذلك العقود والمستندات العقارية وصكوك انتقال الملكيات على وجه التحديد.

والظاهر أن هذه المكتبة كانت في الأصل إحدى المباني التابعة لمعبد الاله (نبو) في النمرود ولكنها نقلت إلى نفس الموضع في مدينة نينوى لأن (نبو) لم يكن إله الحكمة فحسب بل كان إله الرسائل أيضا.

آفاق فلسطين

منذ آلاف السنين أقام الانسان الكنعاني الفلسطيني أهم وانضج حضارة عرفتها البشرية على امتداد الساحل الكنعاني الفينيقي الممتد من الاسكندرية وحتى غزة، فقد ظهرت القرى النطوفية الأولى في فلسطين القديمة، وظهرت تقنيات ناضجة لحضارة العصور الحجرية القديمة وقد دلت التنقيبات الاثارية في أريحا على قدم وعراقة حضارة الكنعانيين القدامى سكان فلسطين الأصليين.



حفريات الطبقات القديمة في مدينة القمر (أريحا) في فلسطين، ويبدو إلى الخلف السور الدفاعي الحجري.

وبعد اكتشاف الكتابة في العراق، في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد وبدء التدوين برزت التأثيرات الحضارية بين أقوام المنطقة العربية القديمة باعتبارهم ينتسبون لأصول واحدة وأن هذه التأثيرات تجلت في جملة مواضيع حضارية تتعلق باللغة والكتابة والعمران والصناعات والاختراعات.

لقد استقر الكنعانيون القدامى ـ سكان فلسطين الأصليين ـ منذ أقدم العصور في بلادهم فلسطين . كنعان .



ـ بئر صفدي ـ بئر السبع ـ بيوت تحت الأرض (النصف الثاني من الألف الرابع ق.م فلسطين القديمة.)

وارسوا دعائم حضارة متميزة أصبحت فيما بعد اساسا ومرتكزا لحضارات العالم المتمدن، وكانت دويلات المدن الكنعانية الفلسطينية تقوم على أساس سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي يبلور نمط الحياة الفلسطينية ويطبعها بطابع متميز نظرا لما تميزوا به من إنتاج حضاري على كافة الأصعدة.

لقد كان النظام السياسي الفلسطيني القديم يقوم على أساس (الدولة ـ المدينة) حيث برزت عدة دويلات مدن كنعانية لها نظامها وسورها المحيط بها والآلهة التي تميزها، ومن أهم دويلات المدن الكنعانية الفلسطينية القديمة:

القدس (يبوس)و أريحا (يريحو) أي مدينة القمر، نابلس (شكيم)، عكا (عكو)، غزة (مدينة الاله داجون)، رأس الناقورة (سكالاتيروروم)، بيسان (بيت الاله شان)، تل الدوير (لخيش)، وغيرها، وإن أكثر أسماء المدن الفلسطينية القديمة تنسب كما هو ملاحظ إلى أسماء الالهة الكنعانيين الوثنيين قبل ظهور الديانات بآلاف السنين وهذا مما يؤكد على عروبة فلسطين في التاريخ القديم.

لقد قام الفلسطينيون بتوطيد دعائم الحضارة القديمة في العالم القديم (آسيا . أوربا . أفريقيا) ووصلت تأثيراتهم الحضارية إلى عموم بلدان البحر الأبيض المتوسط وشبه جزيرة إيبريا، وقد صنع الكنعانيون السفن وأنشأوا الأساطيل البحرية العملاقة ونشطوا في مضمار التجارة، وقاموابناء القصور والأبهاء وصنعوا الأدوات الفخارية والزجاجية واخترعوا دولاب الفخار، واخترعوا نظام الحساب والرياضيات، وصنعوا الأصباغ المختلفة وخاصة ذات اللون الارجواني، ويعود لهم الفضل في اختراع أول أبجدية عرفتها البشرية حيث اختزلت هذه الأبجدية الخطوط المسمارية في وادي الرافدين والخطوط الهيرغليفية في وادي النيل وأصبحت أساسا لخطوط العالم المتمدن فيما بعد.

ولم يقتصر استقرار الكنعانيين الفينيقيين منذ أقدم العصور على أرض فلسطين

فحسب بل استقروا في الأماكن الساحلية العربية لحوض البحر الأبيض المتوسط في بقية مناطق الساحل السوري في تل رأس الشمرة (أوغاريت) وبيروت (بئروتا) وجبيل (بيبلوس) وصيدا (صيدون) وكذلك في مدينة قرطاجة التونسية نظرا للنشاط التجاري الكنعاني السائد في ذلك الحين.

إن الاسم القديم لبلاد فلسطين هو (بلاد كنعان)، وقد أطلق الأغريق على سكان السواحل الفلسطينية تسمية (فينقيين)، أما سكان المناطق الداخلية فكان يطلق عليهم تسمية (يبوسيين)، وفي غمرة مجد الكنعانيين أقاموا هذه الحضارة الناضجة والمتكاملة في كافة المجالات.

وفي حوالي الألف الأول قبل الميلاد ينحرف بعض الموسويين وينشقوا عن موسى في مصر ويغادرون شرقا باتجاه سيناء ويقبعوا هناك فترة مرتبكة ثم يجمعون أشلائهم ويستولون بالقوة والارهاب على بعض دويلات الكنعانية الفلسطينية المسورة ومن ضمنها: تل الدوير (لخيش) ومدينة القمر (اريحا) التي سبوها وأحرقوها تنفيذا لمنطلقاتهم العدائية، وبرغبتهم في تأسيس ملك لهم أسوة ببقية الدويلات الكنعانية الوثنية، فقد تأثروا بالسمات الوثنية للكنعانيين . سكان فلسطين القدامى . وأقاموا دويلتين في مدينتين فقط هما القدس والسامرة لفترة زمنية ضئيلة على حساب الشعب العربي الكنعاني الذي هو موجود في بلاده منذ أقدم العصور.

ويقوم الجيش الآشوري في نينوى بتجهيز حملة حربية واسعة النطاق دكت معاقل السامرة منذ آلاف السنين ولم يكن لليهود أي وجود بعد.

وقد أسقطت دويلتهم الهزيلة وألقحت فلسطين القديمة بالدولة العربية الآشورية، وبعد فترة قام الجيش البابلي بشن حملة حربية أيضا على القدس في عهد نبوخذ ناصر الثاني أحد ملوك العهد البابلي الحديث فقام بتحرير القدس، ودمر هيكل سليمان المزعوم، وأسر عددا من اليهود، وفي مرحلة الأسر قام اليهود بكتابة توراتهم الحالي والذي يسمونه بالعهد القديم وضمنوه قصصا وأساطير لا أساس لها من الصحة والواقع منطلقين من إدعاءات زائفة وغيبيات ميتافيزيقية وطلاسم خرافية لتبرير احتلالهم لأرض فلسطين وممارسة العدوان ضد شعبنا العربي الفلسطيني.

وإبان العهود الرومانية تمرد اليهود العائدين من الأسر وأرادوا أن يقبعوا في أرض العسل واللبن ويعيدوا بناء ما يسمى بهيكل سليمان ولكنهم فوجئوا بعدة ضربات شنها الامبراطور الروماني (هادريان) الذي جعل من مدينة القدس قاعا صفصفا وقام بتدمير ما تبقى من هيكل سليمان المزعوم ومنذ ذلك الحين عاشوا فترة شتات حتى قيام الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨م بدعم من أمريكا وبريطانيا وفرنسا أعداء

الوجود العربي.

وهكذا تتضح لدينا معالم الصورة كون فلسطين عربيه منذ فجر التاريخ وقد سكنها العرب الكنعانيون منذ فترات موغلة فى القدم وأرسوا دعائم حضارة لها تاثير بالغ واشعاع متميز رفد الحضارة الانسانية بأهم المرتكزات والأسس.

تاريخ العلوم الرافدية القديمة

اكتشفت الكتابة لأول مرة في تاريخ البشرية في العراق في الألف الرابعة قبل الميلاد، وتطورت الكتابة السومرية في الألف الثالث ق.م إلى أن تكاملت وتركزت، وفي بداية الألف الثاني ق.م تحولت من حوالي ٢٠٠٠ علامة إلى ٥٠٠ علامة، وأصحبت الكتابة في العهد الآشوري والبابلي تستعمل حوالي من ٤٠٠ إلى ٣٥٠ علامة مسمارية، والكتابة المسمارية ككتابة مقطعية أعطت المجال والامكانات ليس للتعبير عن اللغات القديمة فحسب، بل لكافة اللغات الأخرى.

وأخذت العلامات التي تتميز بالكثافة والتعقيد تختزل وتتبسط مع مرور الزمن إلى أن أصبحت الكتابة في عهد نبوخذ نصر ملك بابل في العهد البابلي الحديث، تختلف اختلافا كليا عما كانت عليه في عهد حمورابي الملك السادس لسلالة بابل الأولى.

كان تعلم الكتابة المسمارية المعقدة يتحقق بالمران الدائم والاستمرار وكانت تدرس اللغة القديمة وأساليب الكتابة في المدارس، وأما العلوم الأخرى فكانت لا تدرس في المدارس العامة، بل في مدارس خاصة يمكن اعتبارها بمثابة معاهد أكاديمية تقدم للطلاب العلوم والمعارف وتقع في مدن كبيرة مثل أور ونفر وبابل وآشور ونينوى.

وكانت المدارس الخاضعة للمعابد تدرس علوم اللاهوت والفلك والتنجيم، أما المعاهد المستقلة أو الخاضعة للدولة فكانت تدرس العلوم البحتة مثل الطب والرياضيات والجيولوجيا، وكانت الفيلولوجيا "علم اللغة" تدرس كأساس لتلك العلوم، حيث يجري تحليل اللغة السومرية القديمة وبحثها وهذا ينطبق على رؤاهم ونظرتهم إزاء الكون، وقد سهل هذا التحليل عمل أقوام الجزيرة العربية كالأكاديين

والعموريين والآشوريين حيث تمكنوا من معرفة قواعد اللغة السومرية، وكانت الفهارس التي تركوها تحتوي على مجاميع الأشياء حسب فصائلها مثل أسماء الالهة والبلدان والمدن والانهار مع مختلف أنواع الحيوانات والنباتات والأحجار والمنتوجات التي تنتج عنها.

وبالنسبة إلى علم التاريخ، فإن السومرين كانوا يدونون أحداثهم التاريخية في قوائم يعددون فيها أسماء وأعمال الملوك والمدن، وكانت بعض الحقائق التاريخية تتلاشى في ضباب الميثولوجيا والأساطير، وقد عاش السومريون من ثلاث إلى خمس مراحل حكم وإن معظم المدونات تذكر الحروب والانتصارات وبطولات بعض الملوك أمثال سرجون الاكادي وحفيده نارام سن، وكانت الحقائق والاساطير تتداخل مع بعضها، وقد استمر البابليون والاشوريون على هذا النسق مع التأكيد على الأعمال والانجازات التي قاموا بها في عهود الاستقرار كبناء الابهاء والاسوار والقصور.

وكان علم الجغرافيا لا يتعدى كونه علما مساعدا وكانت بعض مبادئ هذا العلم تدرس في المدارس حيث تؤكد وتصور الصورة الدينية للعالم التي تصورها السومريون والبابليون، لقد كانت الأرض بالنسبة للبابليين أشبه بقرص دائري يحيطه النهر مع ثمان جزر غير كريمة، وكانت بابل تقع على مركز الأرض، وبالاضافة إلى ذلك كانوا يملكون خرائط غير عملية للمدن والأنهار والجبال وهذه الخرائط والمصورات تعتبر لاهوتية بالدرجة الأولى حيث تصور نظرتهم إلى الكون والعالم.

أما علوم الحيوان والنبات والمعادن فتدخل ضمن علوم الحياة أي العلوم الطبيعية وكان الدراسون يعرفون أسماء مختلف الحيوانات والنباتات والأحجار، وقد برعوا في معرفة الاجهزة الداخلية لجسم الحيوان بشكل دقيق وكذلك الأمر بالنسبة لعلم النبات، وعن الاحجار عرفوا الانواع التي يمكن الاستفادة منها لأغراض عديدة.

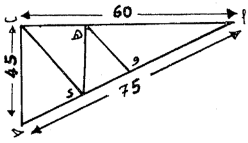
وكانت الكيمياء معروفة بدرجة ضعيفة، وكانوا يضعون وصفات جاهزة لصنع أنواع العطور ومساحيق التجميل والزجاج والاحجار الكريمة الاصطناعية وخلط المعادن.

وأما الطب فكان اكثر العلوم التصاقا بالسحر والطبيب والساحر يلتقيان دوما عند سرير المريض، وكان الاطباء يستمدون علمهم من الهة الحكمة ”ايا“ ”والهة الشفاء“ ”جولا“ التي تستطيع حتى إحياء الموتى، وكانت الحيتان الملتفتان . اللتان ما زالتا رمزا لمهنة الطب حتى يومنا هذا . ترمزان إلى اله الشفاء ”نينكيشزيدا“ عند العراقيين القدماء.

وبالتأكيد فإن الأطباء يقومون ببعض الأعمال الجراحية كجراحة العيون والكسور، وكانت قوانين حمورابي قد وضعت عقوبات صارمة على الجراحين الذين لا يوفقون في معالجة مرضاهم تصل إلى الاعدام، كما وضعت عقوبات إعدام على الذين يتعاطون لسحر والشعوذة.

وكانت الرياضيات فرعا من فروع المعرفة قطع فيها السومريون أشواطا ملحوظة ثم طورها أقوام لجزيره العربية بشكل أكبر، وكانت الرياضيات تطبق في الحياة اليومية في القياس ومسح الأراضي والقنوات وتعداد كمية الانتاج ولديون والفائض.

تمة رشيف رسمي خاص للوثائق السياسية المهمة كالمعاهدات وواجبات موفدي الملك إلى البلدان الأخرى، وكان بعض لملوك ومنهم نبوخذ نصر يهتمون بماضي البلاد وتاريخه فيقوموا بجمع كافة الألواح المتعلقة بذلك، ومن الملوك الآشوريين العاهل الفنان آشور بانيبال الدي أرسى دعائم مكتبة نينوى التي تعتبر أول مكتبة في تاريخ البشرية، حيث تحتوي هذه المكتبة الرسمية الضخمة على مجاميع هائلة من لنصوص السياسيه والادبية والدينية وقد احتوت على ما لا يقل عن ٢٥٠٠ لوح طيني مرتب ومؤرشف بانتظام يمثل قمة لوعي الثقافي وحرص السلطة على انتقاء النصوص مما يتفق مع توجهها الحضاري.



رقيم رياضي هندسي ـ تل حرمل ـ بغداد
يبين الشكل رسماً موضحا للمسألة الهندسية كما نقشت على اللوحة الحجرية ويمكن ملاحظته على صورة الشريحة

وقد بلغ الأدب في بلاد لرافدين سأنا كبيرا وكان يصور بأسلوب حاذق بارع نظرة الشعب العراقي الخالد الذي سكن بلاده منذ قدم العصور على ضفاف دجلة

والفرات إزاء الكون والمجتمع، وترجع ُصول وأوليات معظم الميثولوجيا والملاحم إلى العهود السومرية التي نقلت شفويا في البداية عبر الاجيال والقرون.

ومن الصعوبة بمكان تحديد معالم الادبين لسومري والبابلي ووضع الحدود بينهما إذ أنهماقد تداخلا وأكملا بعضهما على حد بعيد، ومن الاعمال القصصية المبدعة التي تحدث التاريخ الابداعي عنها تلك التي تبحث نشوء الأرض والسماء والناس، وكان الاله الحكيم "انكي" عند لسومريين و "ايا" عند البابليين قد لعب دورا كبيرا في ذلك.

ومن أهم الاعمال الابداعية (نشيد حلق العالم) الذي كتب في الألف الثاني ق.م والذي بقي ماثرة تاريخية وسمفونيه خالدة تشدو قصة الخليقة طوال العهود البابلية، وقد لاقى هذا النشيد صدى واسع النطاق حيث كان يردد في بهاء آشور ويقوم الاله آشور مقام مردوخ، وتعتبر ملحمة كلكامش عملا عظيما يجسد برؤاه الابداعية قصة الانسان واقتحامه لمواقع الصعاب وبطلعه نحو الخلود الازلي.

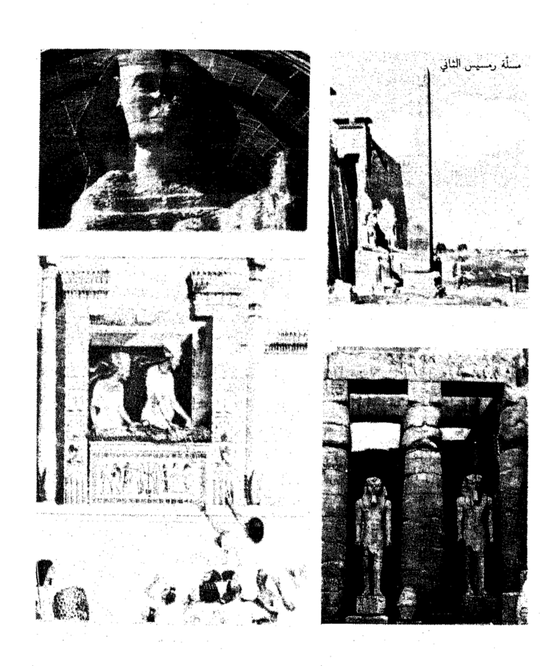
الوحدة الحضارية

أدت المعلومات المستقاة من التراث الكتابي القديم بفضل مكتبة نينوى وجملة الارشيفات السومرية وبفضل الراهب بيروز الذي سجل بناء على طلب الملك اليوناني السلوقي انطوخيوس الأول التواريخ السنوية الملكية في القرن الثالث قبل الميلاد، على اكتشاف العديد من الوثائق التي تؤكد وحدة الحضارة القومية وأزليتها، وتؤكد على الترابط الوثيق بين الممالك القديمة في سومر وبابل ونينوى وآرام وكنعان ومصر.

ونلاحظ إلى أي مدى كان تاريخ بلاد الرافدين وبلاد سوريا وبلاد مصر كان متطابقا، وإلى أية درجة تكون طيبة وبابل قطبي عالم ملتحم.. لقد تشكلت حضارات تنتسب إلى جذور عربية واحدة وتشكلت مواقعها وصروحها على أراض سهلية متشكلة من الطمي حول أنهار قوية كدجلة والفرات والنيل، وفي هذه أو تلك من الأقطار الشمالية أو الجنوبية لبلدين إنتهاء بالاتحاد في دولة واحدة، وفي تجزئة مصر القديمة إلى مصر السفلى ومصر العليا المرموز لها بالشارة الفرعونية ذات الرمز المزدوج، ولقد تطابق شمال وادي الرافدين أو نينوى وجنوبي وادي الرافدين المسمى سومر وبابل، علاوة على القرابة الصوتية الأكيدة بين سوريا وآشور الذي لا يمكن أن يكون التعبير الثاني إلاّ الأول مسبوغا بأداة التعريف.

لقد كانت نينوى عاصمة الآشوريين وبابل عاصمة الكلدانيين، حيث حكمت كل واحدة منهما بدورها شعوبا مزودة بتشريع قانوني وعادات وأعراف وثقافة متحدة ذاتيا، فاحتفظت أرض بابل الواطئة إلى جانب بعض التباين بميزة مقدسة وضوح أراضي بلاد نينوى العالية.

كان العالم القديم مقسما إلى نصفي دائرة فكرية ناضجة، نصفا دائرة يندمجان



من الآثار الفرعونية في وادي النيل

على خط الطول ذي الأربعين درجة والمتخذ نقطة تقسيم على اليسار الامبراطورية المصرية وعلى اليمين الامبراطورية الاشورية البابلية متحدين بامبراطورية الحثيين التي لاتدوم طويلا، وسيكون إصلاح الاراضي متعادلا تقريبا، وكذلك الجموع الانسانية

من هذا الجانب أو من ذاك فهناك منهما ثقل العصور، فإذ ما استيقظت مصر في حوالي منتصف الألف الأول ق.م أكدت لنا الحفريات الاثارية المباشرة بها أو في الوركاء بأن نرى بدقة في الألف الرابع ق.م ما احتوته من حضارة أزلية.

إنه التاريخ العربي المجيد الذي تظهر فيه الامبراطورية الكلدانية مع سرجون الاكادي في القرن السادس والعشرين ق.م والملك السادس لسلالة بابل الأولى حمورابي في القرن التاسع عشر ق.م، ولكنه مع امبراطورية بينوى الأولى بعد وقت قليل من غزوة توتموريس الثالث في جرابلس (كركميش). تلك الغزوة التي تؤكد الصلات القومية مع مصر، وتبرز سياسة وادي الرافدين التي كانت مشغولة بالمتمردين في عيلام، لكن من الواضح أن مجرى نهر الفرات - بوراتو - هو الذي سيعطي آفاق سياسه وادي الرافدين كإتجاه واستمرار.

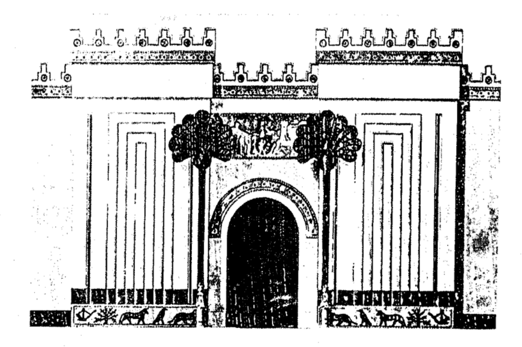
وإن التوجه لبلوغ البحر واقامة صلات مع الفينيقيين - الفلسطينيين واليونانيين لتطوير العلاقات الاقتصادية بين الخليج العربي والبحر الابيض المتوسط عاملان لا يستطاع امتلاك أقوى منها.. كان ينبغي إن ذلك امتلاك ممر يعبر حوض جرابلس وتأكيد الحياد المتعاطف لدويلات المدن السورية القديمة

فما دامت مصر القديمة متأكدة من تامين طرق المواصلات وحراستها، يقوم ملوك العراق القديم معها بمسك زمام اتحاد ممتد ينضم إليه الحثيون . ولكن ما أن يغيب السلام من نقاط الالتقاء هذه بعد هجرات أو انتفاضات حتى يأخذ الاشوريون طريق كركميش وقادش وصيدا كما كان يفعل مثلهم توتموريس الثالث أو رمسيس الثاني.

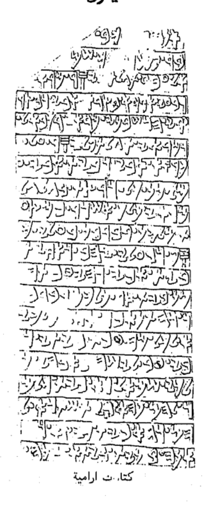
لقد تجلى اللقاء الوحدوي العربي في التاريخ القديم في حوالي الألف الأول ق.م حيث برز تمركز جغرافي وسياسي وعسكري واضح وناضج وحصلت وحدة اندماجية وفق قاعدة لا تتغير مع الحقب التاريخية ذلك لان التاريخ يؤكد أزلية الوجود العربي، ومن قبل قال أفلاطون:

"إن الزمن هو صورة متحركه لازمنية ثابته وهذا الحديث ينطبق على واقع العرب في الماضي والحاضر والمستقبل، لأن تسمية السامية هي إلا خدعه كبرى ضد الأقوام الاكاديه والمصرية والاشورية والعمورية والكنعانية والآراميه التي تنتمي إلى أمة عربية واحدة، ووجود قومي ازلي منذ اقدم العصور.

إن مصر وبلاد الرافدين كانتا وستبقيان قوتين استراتيجيتين في مسأله التوازن وهذا ما تجلى في تاريخ الشرق الأدنى السياسي والاقتصادي وتوافق الحروب الاشوريه مع فترة حكم الامبراطورية الثانيه التي امتدت منذ سنه ٩٢٠ ق.م إلى ٦٢٥ ق.م حيث التأكد من السيطره على منافذ البحر المتوسط بمرور الاساطيل



نينوى



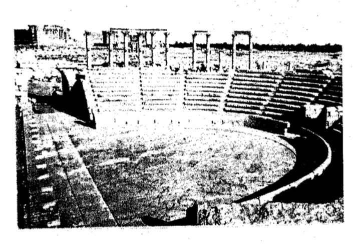
كتابات ارامية

الفلسطينية التي كانت في ذلك الحين تحت الرقابة الفرعونية، وقد انتهت هذه الغزوات بالوصول إلى العمق المصري في ثلاث موجات في سنوات ٦٧١ ـ ٦٦٦ ـ ٦٦٤ ق.م من دون أن تأخذ هذه الغزوات مظهر الفتوحات كما حصل في عهد الملك الآشوري آشور بانيبال في سنة ٦٦٠ ق.م.

لقد كانت امبراطورية نينوى آنذاك في ذروة مجدها، وكانت مدن النمرود (كالح) وقصر دور شروكين (خورسباد) الرائع رمزا لقصر سنحاريب في مدينة نينوى، وقد جمع العاهل الفنان آشور بانيبال اعدادا هائلة من المخطوطات والكتب المثبتة على شكل ألواح ورقم من الطين المشوي في مكتبة نينوى التي تعتبر أول مكتبة في تاريخ الانسانية، وتمثل قدرا عاليا من الرقي الفكري والحضاري.

إن اسمي سرجون الثاني (شروكين) الذي يعتبر واحدا من رموز

بوابة النصر ـ تدمر.



مدرج مسرح تدمر.

التاريخ السياسي القديم، وأسرحدون يشخصان هذه الفترة اللامعة لا سيما وأنه سجل في كتابات حثية أن الملك الاشوري سنحاريب كان يدعى رسميا "سيد الآشوريين والعرب".

أما الامبراطورية البابلية الكلدانية الثانية التي ورثت في حوالي ٦٢٥ - ٥٢٣ ق.م قوة نينوى فقد أعادت صلة التواصل مع الامبرطورية البابلية الأولى (العهد البابلي القديم) وتلألأت مع اسم نبوخذ نصر الثاني الذي وصل إلى مصر ايضا وإلى دويلات المدن الكنعانية والفلسطينية ولقد أصبحت بابل في عهده درة مدن الشرق العربي القديم إلى أن جاء قورش الاخميني مؤسس الأسرة الاخمينية الفارسية في موجه عدوانية لاحتلال العراق.

لقد سقطت بابل العراقية وممفيس المصرية في آن واحد تحت حكم قورش الفارسي وابنه قمبيز، وقد قام اليهود الذين كتبوا التوراة في بابل بعد التحرير البابلي لفلسطين في التاريخ القديم، بالتحالف مع الفرس لقاء قيام قورش بارجاعهم إلى ما يسمى بأرض الميعاد وإعادة بناء هيكل سليمان المزعوم.. وهذا ما يؤكد التحالف المعادي لشعب عربي واحد يمتلك من المقومات الحضارية ما هو كفيل بتأكيد شخصيته القومية المميزة عبر أدوار التاريخ.



مملكة الحضر في الموصل - العصر الروماني والفرثي

محتويات الكتاب

صدر للمؤلف:

١ . تاريخ فلسطين القديم والخلفية الزائفة للصهيونية . دار الكتاب العربي ١٩٨٤

٢ . آفاق غرناطة . دراسة في التاريخ السياسي والحضاري العربي لبلاد الأندلس . دار المعرفة . ١٩٨٨

٣ . الذاكرة الأولى . دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الرافدين . دار المعرفة . ١٩٨٨

٤ . الرايات . دراسة حول أعلام الفكر العربي والاسلامي . دار الجليل . ١٩٩١

٥ . التشريعات البابلية . دار علاء الدين . ١٩٩٢

٦ ـ بدايات الحضارة ـ دار علاء الدين ـ ١٩٩٣

٧ ـ تاريخ القانون مي العراق ـ دار علاء الدين ـ ١٩٩٣

منشورات دار علاء الدين

١ ـ التشريعات البابلية ـ تأليف عبد الحكيم الذنون.
٢ ـ مذكرات عن الانقلاب العسكري ـ م . غورباتشوف .
٣ ـ كيف تكونين جميلة ـ زويا ميخائيلينكو .
٤ ـ المساج النقطي ـ زويا ميخائيلينكو .
٥ ـ الطب الشعبي ومجالاته ـ جارويس .
٦ ـ دليل السائح الروسي ـ د . ماجد علاء الدين .
٧ ـ قصص قصيرة ـ تأليف ليف تولستوي ـ
ترجمة رسلان علاء الدين .
٨ ـ قفزة ـ تأليف ليف تولستوي ـ ترجمة ريما علاء الدين .
٩ ـ قصة الوقت الضائع ـ ترجمة رسلان علاء الدين .
١٠ ـ حكاية العملاق العجيب جونغ ـ ترجة ريما علاء الدين .
١١ ـ طائر الكريم ـ مجموعة قصص ـ تأليف : وهيب سراي الدين .
١٢ ـ أسرار الكون . تأليف مجموعة من العلماء .
١٣ ـ القوة العصبية . تأليف د. بول بريغ .
١٤ ـ العلاج بعصير الخضار والفواكه . تأليف: نورمان ووكر
١٥ ـ دليل مريض السكر . ترجمة : لجنة الترجمة في دار علاء الدين
١٦ ـ الطريق الى الصحة : كيف يتغذى المعمرون .
١٧ ـ صفحات من تاريخ فن الرقص في العالم . اعداد: فائق شعبان
١٨ ـ الأجسام الطائرة المجهولة . تأليف كوزوفكين و سيمينوف .
ترجمة : د . ماجد علاء الدين و د. محمد مخلوف
١٩ ـ علاج الأمراض الجلدية بالأعشاب . تأليف: ب. داتسكوفسكي
٢٠ ـ حلوى الأطفال: تأليف: مرغريت باول
٢١ ـ التربية السليمة للطفل: تأليف موريس لين ـ ترجمة: سميح شيا

٢٢ ـ دليل الحامل: ترجمة: لجنة االترجمة في دار علاء الدين
٢٣ ـ تاريخ القانون في العراق: تأليف: عبد الحكيم الذنون
٢٤ ـ تقليم أشجار الفاكهة: ترجمة واعداد طه شيخ حسن

تحت الطبع

١ ـ العرافة وسوسة أم ...؟ ـ مجموعة باحثين .
٢ ـ كتاب محادثة ـ عربي ـ روسي . تأليف: د. ماجد علاء الدين .
٣ ـ اللؤلؤة النادرة: حكاية شعبية فيتنامية ـ ترجمة: أكرم أبو راس
٤ ـ أعشاب الشفاء اعداد د. ماجد علاء الدين ـ زويا ميخائيلينكو
٥ ـ تحضير الكيك والكاتو والكريما ـ تليف: مرغريت باتن
٦ ـ كيف تقوي بصرك ـ ترجمة عاصم غبرة

كتب توزعها الدار

١ ـ الاخوة كنيدي ـ نأليف . غروميكو .
٢ ـ صفحات مجهولة من حياة تولستوي ـ تأليف لومونوف .
٣ ـ رحلة المخاطر ـ ماركيز .
٤ ـ اسرائيل الكبرى والهجرة ليهودية ـ د. غازي حسين .
٥ ـ الجريمة على الطريقة الامريكية ـ برجمة فؤاد جديد .
٦ ـ الواقعية في الادبين السوفييتي والعربي ـ
تأليف د. ماجد علاء الدين.
٧ ـ محاكمة سقراط ـ يوري فانكين.
٨ ـ ستالينغراد ـ المارشال تشوبكوف.
٩ ـ تيمور وفريقه ـ للناشئة ـ تأليف أ. غايدار .
١٠ ـ مغامرات بوراتينو . تولستوي
١١ ـ البلدان النامية والعلاقات الإقتصادية الخارجية ـ
ترجمة : د . ماجد علاء الدين.
١٢ ـ النطع ـ تأليف : جنكيز ايتماتوف ـ ترجمة :
د . ماجد علاء الدين
١٣ ـ لاتنسى تكة السروال . تأليف عزيز نيسين
١٤ ـ قصة الذهب . يوسف البجيرمي.
١٥ ـ الاتحاد السوفييتي من اليوتوبيا الى الكارثة ـ بوكوفسكي
١٦ ـ البيوت الزراعية . الان وولز
١٧ ـ حدائق النوافذ . جون براكن
١٨ ـ طبيب نباتات الزينه ـ هازل ايفانس
١٩ ـ صناعة العقود الخرزيه . هيلينا هورتنغ
٢٠ ـ قصة اختراع . كنت ايرلاند

٢١ ـ نظام النهب العالمي : تأليف مجموعة كتاب ـ
ترجمة: غازي أبو عقل
٢٢ ـ إصدارات دار الكندي
٢٣ ـ اصدارات دار االمستقبل

لدى الدار امكانية تأمين أية طلبية من الكتب القديمة والحديثة.

ABDUL HAKIM THANNON

THE BEGI NING
OF
CIVILIZATION

FIRST EDITION
1993



٩٦

هذا الكتاب :

ألف باء التمدن الانساني يبدأ في بلاد العرب وأن الأمر مسألة تواصل النور الحضاري الذي لا انقطاع فيه حيث انبثق وتركز في عدة مواقع عبر العصور إستمرارا للقوة.. استمرارا للفكر.. إستمرارا للاقتصاد.

ومهما يكن من أمر فان التغييرات التي حملتها الحقب كانت طفيفة إلى حد أنها تبين لنا كم كان التاريخ في حكمته وكياسته متناقضا مع سرعة الأفراد وجملة التحديات.

الناشر

